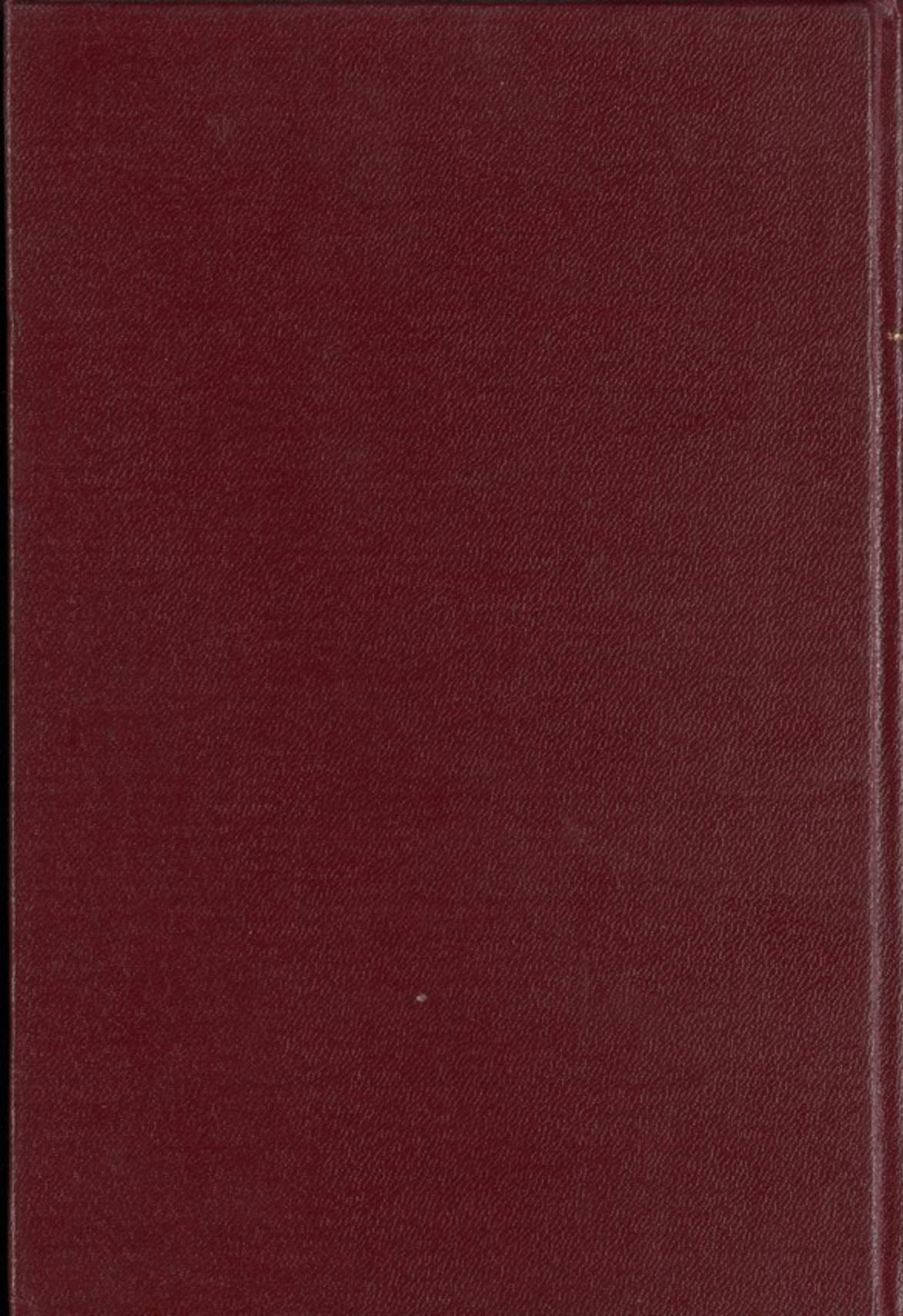




N. MAKHOUL
BINDERY

18 JUL 1970

Tel. 260458

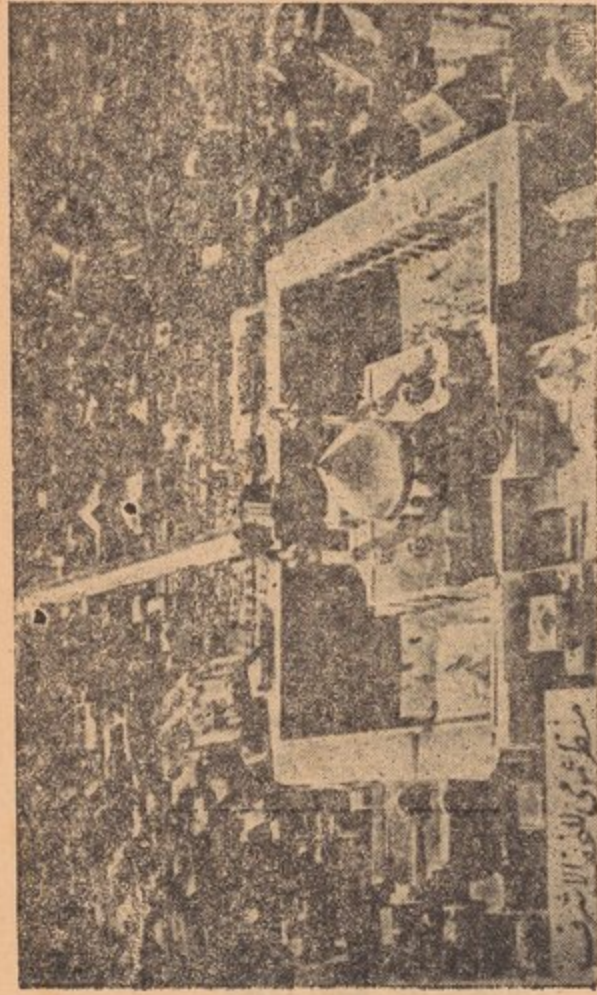


حديث الجارية بعد الحفنة
تأريخ وتحليل

تأليف العلامة الشيخ :

محمد رضا شمس الدين

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف



منظر عمومي لمدينة النجف الأشرف أخذت من الجو . وفي اللوحة تبدو
 المذبتان الذهبتان والقبة الشريفة على جدث الامام علي (ع)

أهراء الكتاب

سيدي وصي الرسول الأعظم :

هذه . جامعتك الكبرى ! في العلوم الدينية . والمعارف الاسلامية العليا ،
التي وضعت الحجر الاساسي لها . وبذرت فيها النواة الاولى .
وهؤلاء وكلاؤك . وسفراؤك والممثلون عنك ، قد أحاطوا حوالى قبرك
الشريف ، ليرتشفوا من بحر علومك وينتهلوا من فيض معارفك . ثم
يفيضوا به إلى مواليك ومحبيك ، في جميع أقطار المسلمين ، الذين ينظرون
اليهم . كما ينظرون اليك . بعين ملئها التعظيم . والاحلال . والتقدير .
فأنت - سيدي ومولاي - أخرى بهذه الهدية المتواضعة ، لهذا استمد
من روحانيتكم القدسية الاجازة . وأطلب الرخصة لان أقدمها إلى حفيدك
ووكيلك . «وعميد» جامعتك الاعظم الامام الفقيه الاكبر آية الله السيد
«محسن الحكيم» الطبطبائي النجفي .
فالى شخصيته العلمية . ونفسيته القدسية الطاهرة ، أرفع «كتابي»
هذا . وغاية أمني «الرضا» والقبول .

المؤلف

فأى الكتاب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد

وآله البررة الميامين وصحبه المنتجبين

* * *

قارئى المحترم:

هذه دراسة عن جامعة . لابد أن تكون لها صلة بعلمك وثقافتك . أو لغتك ودمك . أو دينك ومبدئك ، فاحرص أن تعرف تلك الصلة . بهذه الدراسة لهذه الجامعة الكبرى ! دراسة عن جامعة ، كنا نتجاشى تسميتها جامعة - بالمعنى الحديث - لأنها حرمت من المظاهر الشكلية . وأنسجة الانظمة - الموجودة فى مدارس العصر - ، ولأنها حرمت من الظهور . والدعاية لها . و . و . الخ .

دراسة ، يهمنى الإطلاع عليها علمياً . وثقافياً ، بقدر ما يهم المسلمين الوقوف عليها سياسياً ودينياً . لمن يهمه دراسة الشرق والاسلام على ضوء التعارف والتواصل . والاتحاد والتقدم .

دراسة ، لم أحاول فيها إرضاء طبقة خاصة من الناس أو شعب خاص أكثر من إهتمامي بالإطلاع القريب والبعيد عليها ، بما فيها ، علنا نستفيد

من ذلك بما فيه خدمة الانسانية والاسلام .
دراسة ، تهتمى . وتهتم كل « طالب نجفي » تغذى من تديها فيها تغذى :
من أنواع العلم وفنون الأدب . فكان لازماً عليه أن يتوجه إليها بقلبه .
وعينه وقلمه .

هذه احدى تلك الدوافع والمحفزات الكثيرة التي جعلتني اقدم على هذه الدراسة
وأشرع في هذا الحديث الذي نحن اليوم في أشد الحاجة إليه وإلى أمثاله .
وهذه الدراسة أو هذا الحديث وإن طرق بابيه وكتب فيه ، لكن
بشكل آخر وبكتابة تغاير ما في هذه الفصول ، وحديث يخالف هذا
الحديث ، من حيث الهدف والرمى . و . و . الح . على أن الموضوع رحب
يسع لكتب ومجلدات كبيرة ، وأن يحزر فيه أي كاتب ، ويتحدث عنه
أي عالم بما يريد ، ثم لا يكف لسعة الموضوع وأهميته وجلالته وقديسيته ولاقبال
الناس عليه للاستماع اليه والاستفادة منه فوائد كثيرة دينية وسياسية واجتماعية .
قارئي الكريم :

الحديث عن النجف : حديث ممتع ومشوق يهوى اليه كل مثقف
وأديب وعالم ومتعلم ومؤمن متدين وعربي مسلم .
الحديث عن النجف : حديث عن اكبر معهد اسلامي جليل وعن
« أكاديمية » دينية كبرى وجامعة علمية واسعة !! .
الحديث عن النجف : حديث عن الايمان الصادق والاسلام الحنيف .
والعلم الديني المفيد : « يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون » .

الحديث عن النجف : حديث عن مدينة لا تتجاوز نفوسها المائة ألفاً
بينما يحسبها البعيد النائي قطراً برأسه ودولة مستقلة .

نعم هو قطر برأسه ومدينة خاصة تختلف عن بقية المدن العراقية ، وغيرها
في جوها الديني ومجالسها الروحية وزينها الاسلامي والعربي القديم . و ا ل ح .
هذه المدينة المقدسة ، ليس فيها شيء من الملاهي ، ولا غيرها مما
ينعش البطالة ويزيد عدد البطالين .

هذه المدينة المنورة هي في العراق « كلاً زهر » في مصر ، وهي عند
المسلمين « كالفاتيكان » بايطاليا عند المسيحيين .

هذه المدينة المباركة ، يؤمها في اغلب أيام السنة ألوف من المسلمين من
اماكن بعيدة وقريبة لزيارة قبر الامام (ع) .

هذه المدينة العظيمة ، التي عنها أمين الرمحاني المسيحي - اللبناني المشهور -
بقوله : عندما تسأل عن أعظم مدينة في العالم ، لا في زخارف بنائها وجمال قصورها ،
بل في رجالها الذين هم أمثال الامام علي (ع) وغنى بها النجف الاشرف .
هذه المدينة المكرمة ، لم تزل ولا تزال مقر الدار الكبرى للأفتاء والتقليد
ومركز المجلس الأعلى للمراجع العظام والمجتهدين الكبار والعلماء المؤلفين ! .
هذه المدينة الشريفة ، أصبحت جامعة علمية منذ قرون عديدة يفد إليها
الطلاب من جميع أقطار المسلمين لدراسة العلوم الدينية والمعارف الاسلامية
ويتخرج منها في كل عام مئات من العلماء والمجتهدين ، والمبشرين والمرشدين
في الاقطار والمدن والارياف .

عن هذه المدينة الجامعة - التي عرفت ناحية منها - في هذه الافتتاحية -
دراستنا وحديثنا في هذا (الكتاب) .

قارئ العزيز :

والحديث عن هذه (المدينة الجامعة) حديثان :

حديث من حيث هي جامعة علمية . ومعهد ديني : يتناول تأسيس الجامعة
النجفية، وأدوارها العلمية والحركة الدراسية ، وكتب الدراسة وطريقتها
ونظامها ، إلى غير ذلك مما يتعلق بحديث جامعة النجف أو (النجف
الجامعة) .

وحديث آخر من حيث هي مدينة، يتناول تأريخها وجغرافيتها وحوادثها
إلى غير ذلك مما يحوم حول الحديث عن مدينة النجف أو (النجف المدينة)
والذي يهم بروايته هذا (الكتاب) ويتعرض له، هو الحديث الأول
عن النجف الجامعة أو (الجامعة النجفية) .

وبكلمة صغيرة ، هو حديث عن حياة النجف العلمية والدينية والثقافية
مع ما يضم هذا الحديث من (التاريخ والتحليل) والتعريف والتوجيه ،
وما يتصل به من تأييد الدين وإعزاز الاسلام ، وعلى الله التوكل وهو
حسبنا ونعم الوكيل .

محمد رضا شمس الدين العاملي

نزيل النجف الأشرف

الفصل الأول

تأسيس الجامعة النجفية

- | | |
|------------------------|----------------------|
| (١) مدخل البحث | (٧) النقابة النجفية |
| (٢) وحدة النجف والكوفة | (٨) شاعر قديم يقول : |
| (٣) علوم وفنون | (٩) كلمات لمؤرخين |
| (٤) مدرسة علوية | (١٠) رأي في الموضوع |
| (٥) تلامذة وموالون | (١١) رأيان آخران |
| (٦) البناية الأولى | (١٢) خلاصة ما تقدم |

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١) مفضل البحث

يحسن بنا قبل الشروع في حديث النجف اليوم وحياتها العلمية والدينية والثقافية . ان نتطلع من شرفة التاريخ على ماضي النجف للتعرف على مؤسس جامعتها العلمية . واول واضع لحجرها الاساسي — في معنى من معاني الجامعة ، او في معناها البسيط — وهذه ناحية مهمة . لها صلة بحاضرنا وبالنجف اليوم . صلة قوية يتكفل ببيانها هذا الافتتاح ..

ومن دواعي الأسف ان اهمل البحث عنها علمائنا القدامى وطلاب النجف امس . كما اهملوا غيرها مما يتعلق بأهم الحنون التي غدتهم العلم والدين والأدب ..

ولجاءة من العلماء المتأخرين اراء — سوف نذكرها — (١)

(١) ذهب جمع من العلماء منهم السيد الصدر العاملي . وشيخنا آغا بزرك ومؤلف ماضي النجف . الى ان مؤسس الجامعة النجفية هو الحبر الكبير الشيخ الطوسي . وارجع بعض تأسيسها الى الامام الشيخ المفيد واحتمل ثالث على انها أسست على عهد الصفويين في العراق . وما ذهبنا اليه هو المصحح عند كل من اطاع عليه مضافا الى الحجب والتقريبات التي ذكرناها في الاصل .

تخالف ما نذهب اليه من ارجاع تأسيس الجامعة النجفية الى عهد الامام علي (ع) الذي هو اول من شيد ركنها الاساسي . ووضع حجرها الذهبي .

وستأتي حجة هذا الرأي والدليل عليه . وتفنيد الرأي الآخر والرد عليه .

(٢) وهمرة النجف والكوفة

ومن الادلة التي اقناها على هذا الرأي — من جملة ادلة كثيرة ذكرناها في سياق هذا الحديث — ما يدل من التاريخ والحديث على وحدة النجف والكوفة — والذي يؤم الفرق استقلال كل منهما بتاريخ واسم خاص — اذ الكوفة لم تزل عامرة حتى القرن الثامن الهجري اي بعد اتصال الكوفة بالنجف « والنجف بالكوفة » وقبل ان تبده الاولى بالتمهقر العمراني والخراب . والثانية بالتقدم والعمران (١) ومن كلمات المؤرخين قولهم : ان الجامع الشريف كان في قلب مدينة الكوفة ، وعليه فتدخل النجف فيها لقربها منها اذا اضفنا الى ذلك سعة الكوفة وكبرها في ذلك العصر (٢) .

وجاء في التاريخ وفي كثرة من الاحاديث بالنسبة لتعيين قبر الامام علي (ع) انه بالكوفة (٣)

- (١) نص عبارة المؤرخ البراق في تاريخه للكوفة ص ٤٥٦
(٢) راجع فصل حدود الكوفة وتخطيطها ص ١١٠ و ١١١ من تاريخ الكوفة
(٣) من تلك الاحاديث ما روى ص ١٩ من كتاب (فرحة الغري)

الى غير هذا وذلك مما يستدل به على الوحدة بين المدينتين (النجف
والكوفة) وان لافرق بين هذه وتلك — الا بالاسم — وان الكوفة
ما بدأت بالتقهقر والنجف بالتقدم . الا بعد ان اتصلتا وكلفت الأولى
الثانية برعاية المدرسة الدينية وحفظ حوزتها العلمية . التي بذر نواتها
الامام علي بن ابي طالب (ع)

وربما استدل ايضا — على الوحدة المدعاة — بالخرائط القديمة
للكوفة . كالمخرطة التي وضعها المستشرق الأفرنسي المعروف المسيو
(ماسنيون) عن الكوفة في القرن الثاني الهجري (١)
ورغم الأميال التي تفرق بين النجف والكوفة اليوم لا تهدد وحدتها
بل هي على شرفة الزوال ايضا ..

(٣) علوم وفنون

واحسب ان هذا الدليل — او هذا التقريب — وحده غير كاف
في اثبات ما ندعيه الا اذا اضفنا الى ذلك لمحتين — تنميها للبحث —
لمحة تبين المدى البعيد الذي وصلت اليه العلوم الاسلامية والفنون
— في باب تعيين قبر علي ع انه سأل النبي (ص) يا رسول الله قال أقبر بكوفان
العراق؟ فقال نعم .

(١) الاستاذ (ماسنيون) الذي زار جزيرة العرب وبلاد المسلمين
وتعرف على اهلها وكتب عنها مقالات ومؤلفات منها تاريخ الكوفة
ومن اطرف ارائه المضحكة قوله (ان قبر الامام علي * ع * في الهند)
وقد تصدت الصحف الاسلامية لرده في وقته ، وخرطته التي اشرفنا اليها
منشورة في مقدمة تاريخ الكوفة للبراق .

العربية في السكوفة .

ونحة اخرى تبين الأثر الكبير الذي تركه الأمام علي « ع » وخلفه الأئمة « ع » في السكوفة من المحبين والموالين والتلاميذ والعلماء والفنون والعلوم .

اما الأولى فبعد ان استقر المسلمون في السكوفة ولا سيما في العصر الاموي اشتهرت بالعلوم الإسلامية من الحديث والفقه والتفسير والفنون العربية من العروض والصرف والنحو الذي اسسه الأمام علي « ع » (١) وكانت السكوفة في ذلك العصر موئل العلم والأدب . وملتقى العلماء والشعراء والأدباء . كانوا يزدهجون في المساجد والنوادي والبيوت وكان فيها حلقات للمناشدة والمفاخرة ومجالس للمذاكرة والمناقشة هي كسوق « عكاظ » في الجاهلية . حتى اخرجت مئات من النحويين واللغويين والمحدثين والمفسرين والادباء والشعراء الشهيرين « ٢ » ومن لم يسمع بابي الطيب المتنبي ودعبل الخزاعي والأصمعي والخليل

(١) يكاد الاجماع يعلق باب الريب في نسبة تأسيس علم النحو الى علي امير المؤمنين * ع * ومن نقل ذلك من المؤرخين الكبار ابن حجر في الاصابة وابن قتيبة في المعارف والازهري في تهذيب اللغة وابن سيده في المحكم وابن خلكان في الوفيات الى كثير غيرهم . وبعد هذا لا ينبغي ان نعر اسماعنا الى كلام ينبعث عن مصر في ابداء الريب والتشكك في صدق هذه النسبة الى الامام * ع *

« ٢ » ولعل كثرة هذه المجالس الادبية في السكوفة وانكباب اهلها عليهما من جملة العوامل الكبرى لاختفاق جيش الامام علي * ع * في صفين -

بن احمد والسكيت بن زيد الأسدي والسكساني وجابر بن حيان الذي يقول عنه الأستاذ « بزتيلو » الفرنسي صاحب كتاب « تاريخ السكمياء في القرون الوسطى » ان اسمه ينزل في تاريخ السكمياء بمنزلة اسم ارسططاليس في تاريخ المنطق .

ولهذا العالم المفكر « ابن حيان » مؤلفات كثيرة منها « رسائل جعفر الصادق » في خمسمائة رسالة طبعت في اوربا . وفيها صرح بتلمذته على الامام الصادق « ع » واخذ السكمياء عنه وفي ذلك يقول بعضهم :

حكمة اورثناها جابر عن امام صادق القول وفي
لوصي طاب في تربته فهو كالملك تراب (النجف)

(٤) مربية علوية

والناحية الاخرى التي لمحا إليها تكميلا للتقريب السابق وتمهيدا للبحث الآتي هي ان السكوفة كانت على الرغم من اختلاف نزعاتها وكثرة احزابها معروفة بالعلوية والتشيع — حتى اذا اراد احد ان

.. وقد شعر الامام * ع * بهذا لذلك راح مقرعا اصحابه في احدى خطبه البليغة قائلا * نركتكم عدتم الى مجالسكم حلقا عزين تضربون الامثال وتناشدون الاشعار تربت ايديكم نسيمتم الحرب واستعدادها واصبحت قلوبكم فارغة من ذكرها *

وقال ايضا * لوددت ان معاوية صارفني فيكم صرف الدينار بالدرهم فاخذ منكم عشرة واعطاني رجلا منهم *

يقول انه شيعي قال كوفي كما قال ابو تمام الذي ولد بالشام المعروفة في ذلك الوقت بالأموية ومع ذلك فهو كوفي مذهباً وهذا معنى قوله :
و كوفي ديني على ان منصبي شام ونجري أية ذكر النجر
وقد دخلها الإمام علي (ع) بعد وقعة الجمل ونزل اول ما نزل
— في جامع الكوفة — لافي القصور كغيره من الولاة — فأخذه مصلي
له ومعبداً ومدرسة يدرس ويخطب ويقضي فيه بين الناس
وقد تخرج من هذه « المدرسة العلوية » الكبري امثال ابي
الأسود الدؤلي وعبد الله بن عباس « حبر الأمة » الذي يقول عن استاذه
« بقيت ليلة كاملة مع ابي الحسن علي « ع » وهو يشرح لي « بسم الله
الرحمن الرحيم ».

وقد قام بعد علي امير المؤمنين « ع » في التمهيد بمدرسته العلوية اولاده
واحفاده « ع » حتى جاء دور الإمام الصادق « ع » — الذي كان في ايام
ابي العباس السفاح — وقد فسخ له الزمان فرصة استطاع فيها ان يدرس
ويحاضر ويفيد اكثر من غيره من الأئمة « ع »
وعلى قلة استيطان الإمام الصادق « ع » بالكوفة فقد تخرج عليه
علماء كثيرون . حتى الف الحافظ ابو العباس بن عقده الهمداني الكوفي
كتاباً في اسماء الرجال الذين رووا الحديث عن الامام الصادق « ع »
فذكر ترجمة اربعة آلاف شيخ .

ويقول الحسن بن علي الوشا البجلي [اني ادركت في هذا المسجد
يعني مسجد الكوفة تسعمائة شيخ كل يقول حدثني جعفر بن محمد
الصادق] ع .

والنتيجة من هذا النقل او صلتته بهذا البحث يتضح في اللائحة التالية

(٥) تلامذة وموالاتهم

واذا عرفنا من اللوحة الأولى « علوم وفنون » سعة العلوم الإسلامية « في السكوفة » وشهرتها بالفنون الأدبية استفعتنا منه « او انضح منه » ما قلناه قبل عن جامعة السكوفة ومدرستها العلمية والأدبية - التي خلفتها النجف الأشرف في ذلك - وهي وان لم تكن كمدارس هذا العصر او جامعاته لكنها متحدة معها في الروح او الأثر.

ويتضح لنا من اللوحة الثانية ﴿ مدرسة علوية ﴾ الوقوف على طريق ذي شعبتين كل منهما توصلنا الى الهدف الذي نحوم حوله وما نحن بصددده .

شعبة توقفنا على القول بان السكوفة مركز تلامذة علي « ع » ومقر تلامذة أولاده وأحفاده .. وهذا القول الذي نحصل منه ان هؤلاء التلاميذ لابد أنهم كانوا يترددون على قبر علي ﴿ ع ﴾ بعد وفاته وبقون عنده اياما وليالي يدرسون ويتذاكرون - كما كان تلامذة ارسطوياتون قبره بعد وفاته يتذاكرون ويدرسون عنده . لان قبره يبعثهم على الجهد والفساط فكأنما هو بينهم والى جنبهم - كما يدل على هذا احاديث . يأتي بعضها في محله .

والشعبة الاخرى - التي يتضمنها الموضوع السابق « مدرسة علوية » التي تعطينا ان السكوفة كانت عاصمة شيعة علي « ع » ومركز محبيه

ومواليه فلا بد ان هؤلاء الذين والوه واحاطوا به في حياته ان يثبتوا على الولاة ويحيطوا بقبره بعد وفاته حبا به وخوفا عليه من النبش والتمثيل به من قبل الاعداء وخشية عليه من الضياع ايضا

فبعد ان يترك الائمة ع ويدع المحبون لعلي ع من الصحابة والتابعين قبر ابن عم الرسول ص في ارض بغير مجاور له ولا يحافظ عليه بها بلغت السياسة من الضغط والشدة على انه في محيط هو اليه . وبين قوم عرفوا بالتشيع والحب له . وكان فيهم الامراء وذوو السلطة القوية

فيتضح من الشعبية الاولى قدم الدراسة في النجف ومن الشعبية الثانية قدم المجاورة فيها التي صاحبها الدراسة العلمية

(٦) البناية الاولى

واذا كانت البناية الاولى على القبر هي السبب الاول في جذب الناس اليه والداعي لمجاورة العلماء له - وانها النواة الاولى لايجاد روح علميه - حبا بالشخصية الاسلامية الدينية هناك . فباستطاعتنا ان نثبت من التاريخ ان بناية الرشيد « في سنة ١٨٠ هـ » ليست الاولى « كما يظهر من كلام الاستاذ « ١ » الدخيلي نقلا عن « زهرة القلوب » بل كان قبلها بنايات عديدة « ٢ » كما حدثنا التاريخ عن بناية داود « ١ » في مقال له عن جامع النجف نشر في مجلة الرسالة المصرية

س ٦ فراجع

« ٢ » راجع فصل عمارات القبر من كتاب مدينة النجف (ج ١)

بن علي المتوفى سنة « ١٣٣ هـ » وحدثنا في رواية عن صفوان قال قلت
للإمام الصادق « ع » « يا سيدي أتأذن لي؟ أن أخبر أصحابنا من أهل
الكوفة به فقال نعم . فاعطاني الدراهم وأصلحت القبر » . وكانت هذه
قبل عهد الرشيد بزمان .

ومما يدل على أن الدراسة كانت مصاحبة للمجاورة ما حدثنا به التاريخ أن
محمد بن زيد العلوي الداعي الصغير — صاحب طبرستان المتوفى ٢٨٧ هـ —
بنى — في النجف الأشرف — قبة وحائطا وحصنا فيه سبعون طاقا .
فهذه الأطاقات في هذه البنية هي كالزوايا في البناية الاولى التي
انشئت بعدها على عهد البويهيين — كما عبر عنها ابن بطوطة — ، وهذه
الزوايا . وتلك الاطاقات . هي كالغرف والأواوين الموجودة اليوم التي
هي كمدرسة تصلح لسكنى الطلاب ومركز دراستهم .
ولعل البنائيتين المتقدمتين ، كانتا كهذه وتلك ذات أطاقات وزوايا
أو أواوين ، وغرف — كما تسمى اليوم — .

(٧) النقابة النجفية

واذا كانت النقابة المعروفة في نظام الدول الإسلامية أمس . من
دعائمها وشروطها العلم وإقامة الحدود . والحكم بين العلويين وحل
خصوماتهم والدفاع عنهم . فإن النجف الأشرف أخذت حظا وافرا من
هذه النقابة ورآستها الجليلة ومنصبها السامي العظيم .
كما حدثنا التاريخ الإسلامي بذلك عن رجال كثيرين « تولوا
النقابة في النجف » امثال شمس الدين ابو القاسم وناصر الدين مطهر

بن رضي الدين محمد الحسن والسيد شريف الدين محمد المعروف بابن
السدره الذي سافر الى النجف سنة ٣٠٨ هـ حتى توفي فيها .
الى غير هؤلاء من النقباء الطالبين والعلماء العلويين الذين تولوا
نقابة الاشراف في النجف الاشراف منذ القرن الأول ، أو الثاني للهجرة
حتى آخر عهد للنقابة (١) .
وهذا البحث التاريخي فيه دلالة على قدم مجاورة العلويين لقبر
الامام علي (ع) مضافا الى قدم العلم والعلماء في النجف الاشراف .

(٨) شاعر قديم يقول

ومما يدل على قدم العلم والعلماء . وقدم مجاورتهم . وسكنى العلويين
لقبر الامام علي (ع) قول شاعر قديم يعرف بابي عبد الله الحسيني
البغدادى الشيعي المشهور بابن الحجاج — الذي كان في عصر السيدين
(الرضى والمرضى) والمتوفى سنة ٣٩١ هـ — حيث يقول : (عند مزار
النجف) من قصيدة مطلعها : (٢)
يا صاحب القبة البيضاء على (النجف) من زار قبرك واستشفى لديك شفي
الى أن يقول : — وفيه الشاهد —

وقل سلام من الله السلام على أهل السلام وأهل العلم والشرف
وأهل السلام (في البيت) بمعنى أهل وادي السلام ، وهم الأموات في
(١) راجع تأريخ الكوفة للبراقى النجفي فصل (نقباء الاشراف في
الكوفة) ص ١٩٩

(٢) راجع القصيدة وترجمة صاحبها في الكنى والالقب ج ١ - ص ٢٤٦

مقبرة النجف الكبرى — التي تمتد أول مقبرة اسلاسية . وثاني مقبرة في العالم . اذا عدت مقبرة (الفاتيكان) بايطاليا الأولى — وأهل العلم والشرف الذين عناهم الشاعر هم العلماء المجاورون لقبر الأمام (ع) . الذين ليس لهم غرض من تلك المجاورة الا العلم والدين كماكثر سكان النجف والمجاورين لها اليوم .

(١) كلمات مؤرخيه

وهذه كلمات المؤرخين تشهد على سبق العلم وقدم الدراسة وسكنى العلماء ومجاورة العلويين في النجف الأشرف أمس . فهذا « ابن الأثير » يحدثنا في تأريخه أن دراسة العلم في النجف بدأت منذ القرن الثالث الهجري ، وبلغت أوج عظمتها في عهد عضد الدولة أحد الملوك البويهيين حيث اطلق الصلات لأهل العلم ورجال الدين المقيمين في الغري وغيرهم من ذوي الفاقة (١) .

وهذا « ابن طاووس » يروى لنا في فرحته عن يحيى بن عليان الخازن بالقبر الكريم أنه وجد بخط ابن البرسي المجاور بمشهد الغري على ظهر كتاب بخطه . قال توجه عضد الدولة عام ٣٧١ هـ الى المشهد الشريف الغروي . وزار الحرم المقدس . فكان مما فرقه على العلويين الف وسبعمائة درهم لكل فرد منهم احد وعشرين درهما — وعلى المجاورين خمسمائة الف درهم . وعلى المترددين مثلها . وعلى الناحية — الذين ينوحدون

على الحسين « ع » — الف درهم . وعلى الفقراء والفقهاء ثلاثة آلاف درهم (١) وربما يقال ان من هذه السكينة المالية الأخيرة للفقهاء ثلاثة آلاف درهم التي تقابل كمية وافرة بالدينار العراقي — نعرف كمية العلماء أو كثرة للفقهاء الموجـ ودين في النجف الأشرف حوالي هذا التاريخ ٣٧١ هـ ومن وجودهم حوالي هذا التاريخ نعرف ايضاً أنهم سبقوه بمدة طويلة إذ يبعد عادة مجيئهم دفعة واحدة بل كان ذلك بالتسلسل والتدرج وهذه الكلمات . وغيرها من عبارات المؤرخين توضح لنا الفكرة التي نحوم حولها . وتوقفنا على الحقيقة التي فتشنا عنها التي اهتمدى إليها قوم . وضل عنها آخرون .

(١٠) رأى في الموضوع

ومع كل هذه الأدلة — أو هذه الصفحات البيضاء التي تبرز لنا فسكرة تراها بجميع حواسنا مع هذا — نرى هناك من المؤرخين من يصر على ارجاع تأسيس الجامعة النجفية الى الامام الحبر الشيخ الطوسي المتوفى ٤٦١ هـ — نظراً الى أنه لم يعرف أحد من العلماء السكبار ممن تخرج من النجف قبل هجرة الشيخ الطوسي إليها — بمعنى من التخرج —

وعلى فرض وجود فرد أو أفراد . فهؤلاء لم يكونوا الا روات تلقوا الدراسة في النجف على الطريقة المعروفة قديماً . وهو مجرد حفظ الأخبار . وروايتها — وما يناسب ذلك — ولا يطلق باصطلاح اليوم

على مثل هذا أنه علم ولا أن رجاله علماء بخلاف طريقة الشيخ الطوسي التي هي طريقة الأصوليين والدراسة في النجف اليوم .
ولا ادري مالذي يدفع هذا المؤرخ الى تضيق العلم وتحديد .
مع أن اختلاف طريقة الدراسة . ونوع العلم في مكان لا يوجب أن يكون حداً إنتهائياً للأول وابتدائياً للثاني .
ولو فرضنا ان الدراسة وطريقة تغيرت في النجف « كما هو المؤمل حسب تطور العصر . وحاجة الناس » لا نقول بتأسيس جديد أو جامعة جديدة ووجود امثال أبي طالب بن أحمد بن شهر يار « العالم المحدث الذي يروي عنه أبو جعفر الطبري والنجاشي في النجف الأشرف قبل هجرة الشيخ الطوسي اليها . ويعرف كثيراً غيره ممن راجع كتب التراجم والرجال » كاف في الرد على هذا المؤرخ وتفنيد قوله .

(١١) رأياه آخره

وهناك رأيان آخران لسكاتدين جليلين « نذكرهما توسعة في البحث وإشباعاً للموضوع وتحريراً للفسكر وإن لم يسكونا كالأول في القوة والمثانة » .

احد ذينك الرأيين ما ذهب اليه بعض (١) ان مؤسس الجامعة النجفية هو الإمام السكبر الشيخ المفيد « صاحب المؤلفات السكثيرة واستاذ الشيخ الطوسي . والمتوفى سنة ٤٣١ هـ » وأنه أول من أسس (١) العلامة محمد باقر كره أي في مقدمة المجلد الثاني من خصال الصدوق المطبوع باللغة الفارسية في ايران ص ٦١

هيئة علمية في النجف الأشرف عندما انتقل إليها من بغداد. أو نفى منها « كما عبر الكتاب » بسبب ما حصل هناك من الاختلافات والثورات فانتقل إلى النجف حيث قسلة الضوضاء وفراغ البال ليقوم بتأليف كتبه والرد على العامة الذي عرف به .

ولسكن التاريخ لم يحدثنا عن انتقال هذا الرجل العظيم أو نفيه ولا أن عصره عصر ثورات وحروب بل كان عصر آيسوده الهدوء والسلام لأحرب فيه ولا اختلاف كما يعرف ذلك كل من درس عصر الشيخ المفيد . وكيف نجز هذا النفي على الشيخ المفيد هذا الرجل العظيم المسكرم من ملوك عصره ملوك الدولة البويهية الشيعية وخاصة من عضد الدولة الذي هو أحد تلامذته والمتصلين به والذي عرفه عنه من إكرام العلماء ومدحهم بالمال وحب العلم والفضيلة لهذا يستبعد هذا الرأي مع أنه لا دليل عليه

والرأي الآخر ما ذهب إليه أو احتمله بعض « ١ » وهو تأسيس الجامعة النجفية على عهد الصفويين أو الدولة الشيعية الصفوية في العراق في القرن العاشر للهجرة

وهذا الرأي وإن كان يظهره ويقر به آئسار الصفويين في العراق وخدماتهم للعتبات المقدسه ومد الطلاب في النجف بالأموال وببناء المدارس والمساجد لهم فيها ، ولكنه لا يقتضي تأسيس الجامعة منهم ،

(١) المرحوم الشيخ محسن شراره العاملي في مقال له عن جامعة النجف منشور في م - ١٦ - من مجلة العرفان العاملية .

وعلى عهدهم .

وهذا الرأي والاحتمال واهي لا ينبغي ان ننظر فيه اكثر من لمحة خاطعة ، وانه حدس وتخمين لا مستند له ولا دليل عليه ، وحسبه ما تقدم من الادلة والبيانات الحسية على قدم العلم والدراسة في النجف وسبقها عهد الصفويين في العراق .

(١٢) خلاصة ما تقدم

فيتلخص من جميع ما تقدم « وماسياً تي » ١ « أن الجامعة النجفية اقدم جامعة اسلامية واول « اكااديمية » دينية وأسبق معهد روحي عربي » ٢ «

« ١ » وسنعود للموضوع بصورة أخرى في الدور الاول من فصل « أدوار الجامعة النجفية » الآتي قريباً .

« ٢ » ويمكن لنا أن نقول أن مدرسة النجف اقدم مدرسة في العالم لان فريد وجدي يقول في دائرة المعارف انه « أي الازهر » اقدم مدرسة في العالم بعد مدرسة بولونيا في ايطاليا فقد تقدمته بأكثر من اربعة سنين مع ان بولونيا تأسست سنة « ١١١٩ » م وجامع الازهر شيد سنة « ٣٥٩ » هـ ومدرسة النجف تأسست حوالي سنة « ٢٥٠ » هجرية اذا اعتبرنا بناية الداعي الصغير هي المؤسسة الاولى للصحن الشريف ، ومدرسته العلمية

ومما لا شك فيه أن الازهر عند ما أسس من الدولة الفاطمية الشيعية لم يؤسس على كل شكل منظم كما هو اليوم - كما ذكر ذلك من كتب -

وأن جامعة النجف الاشرف أقدم « ١ » من جامع الازهر الشريف في مصر . وقم المعصومه في إيران .

وأن مؤسسها الأول هو علي بن أبي طالب (ع) الذي شيّد ركنها الاساسي ووضع حجرها العلمي الذهبي .

(وبعد) فإن نسبة تأسيس الجامعة النجفية الى الامام علي (ع) وان كان يفاجي . بعض . ؟ ! برأي بكر ونضرية جديدة لم يسبق لها بهذا التصريح والتأكيد والبحث والتوسع ، ولكن حداثة الموضوع . وقلة — عن الازهر — ولعل جامعة بولونيا كانت كذلك لان النظام في الجامعات واسمها من مخترعات العصر الحديث

« ١ » قال الاستاذ الزيات في مجلته (الرسالة) المصرية — م — ٩ ص (٥٠١) وإنما وصف النجف بالاشرف منافسة لـ الازهر الشريف في النجف مع مهاديني يسير على اسلوب الازهر في أكثر شؤونه وان لم يستطع مسايرة الازهر في الانطباع بطابع الزمان والرابطة العلمية والادبية بالنجف لها لون خاص

فأدبائها في حكم المنعزلين عن أدهاء الموصل والبصرة وبغداد ولهم في انشاد الشعر طريقة لا يعرفها من سكان العراق غير النجفيين وهي طريقة تقوم على قواعد الترنيم وعلى مثلها كان الشيخ سعيد الوصفي ينشد الشعر في دروسه بالازهر الشريف « ونحن لانريد التعليق على هذه الكلمة فإن النجف ليس لها ذنب الا انها موالية لاهل البيت وقد الفنا ان نرى حملات شديدة نتلقاها من بعض الكتّاب المصريين امثال احمد امين لذلك نمر على هذه الكلمة الصغيرة من الكرام

البحث عنه وعدم التوجه له وسطوة السياسة في ذلك العصر، كان - كل ذلك - سبباً لطمس هذه الناحية من التاريخ وموضع مفاجئة واستغراب والشيخ علي الشرقي في مجلة (لغة العرب س ٤) والاستاد الدخيلي في مجلة (الرسالة س ٦) وغيرهما ان سبقوا بذلك. ولكن ليس بهذا التصريح والتأكيد بحيث يصح نسبة الرأي اليهم - كما يتضح لمن راجع كلماتهم - وترفع شبهة كبرى عن هذا الرأي عندما نعرف المعنى المقصود من الجامعة - في دورها الاول - ؟ نريد بالجامعة معناها البسيط او اللغوي وهو الاجتماع للدرس والتعليم بحسب ذلك العصر وطريقته على نحو تردد الامام علي (ع) وأولاده ومحبيهم الى موضع قبر علي (ع) وبقائهم عنده اياماً وليالي بذكر القرآن والتفسير والحديث الشريف، وبهذا المعنى صح نسبة تأسيس الجامعة السجفنية الى الامام علي (ع) والتاريخ الاسلامي يشهد له ويؤيده كما تقدم - ويأتي أيضاً -



الفصل الثاني أدوار الجامعة النجفية

(١) تمهيد عام

- | | |
|-------------------|-----------------------|
| (٢) الدور الأول | (١٣) الدور الثالث |
| (٣) في الطريق | (١٤) تعريف وإجمال |
| (٤) نور ضئيل | (١٥) اختلافات وتقلبات |
| (٥) قوة وانتشار | (١٦) علماء كبار |
| (٦) علماء وأبطال | (١٧) الدور الرابع |
| (٧) الدور الثاني | (١٨) علماء ومجتهدون |
| (٨) هيئة علمية | (١٩) بيوت وعائلات |
| (٩) موت وحياة | (٢٠) قوة وانتشار |
| (١٠) الى الحلة | (٢١) تأسيس مدارس |
| (١١) عود ورجوع | (٢٢) ثورات وحروب |
| (١٢) علماء وأبطال | (٢٣) نهاية المطاف |

(١) تمهيد عام

وهذا حديث آخر ، مستمد من حقيقة ماضي النجف ، ومن وحي تأريخها القديم ، له أهميته من جهات عدة : أهمية من جهة علاقته في التحدث عن النجف اليوم . وأهميته في رفع كيان الجامعة النجفية ، وإظهار قيمتها الجوهرية المكنونة ، وأهميته في تغذية روح الطالب النجفي الجديد وتزويده بالتشجيع والنشاط الفكري ، حتى لا يتوهم نفسه غريباً يسير منفرداً في قافلة لا سابق لها ولا لاحق ، عندما تنكشف له طلائع القوافل العلمية ، التي سارت أمامه ، واجتازت ميادين العلم والفضيلة ، إلى حيث السعادة والخلود . . تلك القوافل السابقة — على القافلة التي هو فيها — التي تحمل كثيراً من النوايع والمجتهدين والعلاسة والمفكرين . . أولئك — الذين أفادوا العالم العربي ، والأسلامي : بمؤلفاتهم وأفكارهم — هم ، بلا ريب ، أقطاب الدين وحفظة الاسلام . .

والأهمية الكبرى ، تطرق هذا الحديث ، إلى نقطة حساسة حول الموازنة ، والمقاييس ، بين أدوار النجف وعصورها العلمية ليتبين لنا هل نحن — أهل هذا الدور الأخير — على حق في آخر الأدوار النجفية ، بكلا معني التأخير : الزمني والعلمي . كما يدل عليه إيماننا على أهل الأدوار السابقة في مؤلفاتهم وأفكارهم ومسار تراثهم في حركاتهم ، وسكناتهم . . ؟ أو في التأخير بالجهة الأولى — الزمني — فحسب . . وعلى العكس ، في الجهة الثانية — التأخير العلمي — كما هي سنة التطور ، وقاعدة النشوء ، والارتقاء ؟ .

ونتيجة تلك المقايسة ، أو الرد على هذا الاستفسار . نحمله على الطالب النجفي الجديد ، وتنتظر حله وجوابه بعد إطلاعه على هذا الحديث .. وموعداً في الالتقاء معه ، في آخر هذا الحديث ، لأخذ النتيجة منه والكلمة الأخيرة في « نهاية الحديث » .

(٢) الدور الأول

ويبدأ الدور الأول بمهد الامام علي « ع » — الذي قدم الكوفة سنة ٣٦ هـ — والذي ينسب اليه هذا الدور ، والجامعة النجفية أيضاً ، كما تقدم ذلك مع لمحة عنه وكلمة مختصرة في الحديث السابق ، وقلة المصادر القديمة في الموضوع ، واختلاف الأقوال ، هي التي دفعتنا الى ذلك الاختصار ، وأوقعتنا بمشكلة تأسيس الجامعة النجفية أيضاً .. والمعهد في ذلك على السياسة الغابرة ، التي راقبت كلما يتصل بالبيت « ع » من مدن ومدارس ورجال وعلماء وكتب وصفحات ، ووقفت منها موقف التحذير ، والأرهاب ؟ !

ومن جهة أخرى ، اعراض المؤرخين والعلماء أمس في الكتابة عن النجف ، وأوضاعها ودراساتها وعلمائها في هذا الدور وغيره . ولعل عيون الرقباء وسطوة السياسة ، هي التي حالت بين هذا .. وذلك .. ومن هنا يتضح لنا أهمية البحث والكتابة عن النجف أمس أو الدور الأول .

(٣) في الطريق

وربما جاء أحد الأئمة المعصومين «ع» إلى قبر الإمام علي «ع» مع لقيف من طلابه ، وجماعه من تلامذته ، ليواصلوا دروسهم على بداستاذهم الإمام «ع» ولو في الطريق ، أو عند قبر الإمام علي «ع» .. ولنستمع الآن إلى حديث - قريب من هذا المعنى - يرويه محمد بن معروف الهلالي قال : مضيت إلى الحيرة - في الكوفة - إلى جعفر بن محمد ، فما كان لي فيه صلة من كثرة الناس ، فلما كان اليوم الرابع ، رأي فادناني ، وتفرق الناس عنه ، ومضى يريد قبر علي أمير المؤمنين «ع» فتبعته ، وكنت أسمع كلامه ، وأنا معه أمشي «... فالدراسة في هذا الدور ، كانت عبارة عن الوعظ ، وتعلم الكتاب الكريم ، ورواية الاخبار ، وأحاديث العرب دون أن يكون ذلك في محل خاص ، أو مركز مخصوص ، ففي السفر والحضر وفي البيوت والمساجد كانوا يتلقون دروسهم .. وهذه الطريقة اللانظامية أو السقراطية - كما يعبر عنها الاستاذ «رونالدسن» - هي التي يدعو إليها جمع من مفكري هذا العصر ، منهم الفيلسوف «برنادرشو» وغيره «١»

(٤) نور ضئيل

وبعد وفاة الإمام علي «ع» - في سنة «٤١» للهجرة - أصابت الحركة العلمية في النجف - حسب المعنى المتقدم - نكسة ، ذهبت بها زمناً ، ثم عادت من جديد ، حينما قامت أول بناية على قبر الإمام «ع»

(١) سيأتي التعرض لهذه الناحية ، في فصل قريب

وأخذ العلويون بالتردد على القبر الشريف ، وأخذت الدور ، والمساكن الى جواره .. وكان ذلك قبل انقضاء القرن الاول الهجري ، على ما أحسب « ١ »
ويحتمل من جهة أخرى أن الحركة العلمية انما بدأت في النجف عندما ضعفت الحركة العلمية في الكوفة ، بانتقال طبقة منها الى بغداد ، بواسطة تشجيع الملوك والخلفاء لها ، وتقريب أهلها اليهم .. وطبقة أخرى دفعها حبها لآل البيت « ع » للانتقال الى النجف حيث مرقد الامام علي « ع » . وكان هذا الانتقال ، في عهد الدولة العباسية - التي اتخذت بغداد عاصمة لها - . وقبل عهد الملوك البويهيين في العراق ، ووجود كبيرهم عضد الدولة .. وهاتان الصورتان - هذين الانتقالين - تعطياننا صفحة مصغرة ، عن حركة العلم في هذا الدور .. وهذه الصور الظنية - الاستفادة من المكتب - يؤيدها التاريخ ، ولا يعارضها شيء ، فهي صور علمية ، نأخذ بها ، ونعتمد عليها .

(٥) قوة وانتشار

وفي عهد الملوك البويهيين في العراق ، وخاصة في عهد عضد الدولة المتوفى سنة « ٣٧٢ هـ » ، تنشطت الحركة العلمية ، وكثر رواد العلم في النجف بسبب ما بذله « عضد الدولة » من الاموال الطائلة : لتشيد قبر الامام « ع » ، ومدرسته الدينية ، وما بذله على العلماء والفقهاء مقابلة لمدارس العامة في بغداد .. وهذا ما دفع بعض المؤرخين ، لنسبة تأسيس الجامعة النجفية ، الى الشيخ المفيد ، المعاصر لعضد الدولة ، واستاذ

أيضاً . . ولعله هو الذي أشار إليه بالانتقال من بغداد الى النجف تمييزاً لأعماله التي أنشأها هناك ، وقياماً بمدرسته العلمية التي بذل عليها وعلى طلابها أمولا طائلة ، كما تقدم ذلك عن تأريخ « ابن الاثير » وكتاب « فرحة الغري » (١)

(٦) علماء وأبطال

ونختم هذا الحديث « عن الدور الاول » بالتعرض لجماعة من العلماء والرواة الكبار ، نسبوا الى النجف ، في هذا الدور . منهم : أحمد بن عبد الله الغروي ، الذي يروي عن أبان بن عثمان — أحد أصحاب الامام الصادق (ع) — ، ويروي عنه ، الحسين بن سعيد (٢) . . ومنهم شرف الدين بن علي النجفي ، الذي يقول عنه الشيخ الطوسي : « كان فاضلاً ، صالحاً له كتاب « الآيات الباهرة في فضل العترة الطاهرة » (٣) . . ومنهم الشيخ أبو طالب عبد الله بن أحمد بن شهر يار المعاصر للشيخ المفيد ، والذي يروي عنه ، النجاشي ، وأبو جعفر الطبري (٤) .

[٧] الدور الثاني

ويبدء ، بعهد الشيخ أبو جعفر محمد بن الحسن ، المعروف بالشيخ

(١) راجع الفصل السابق - ص ١٢ -

(٢) رجال المامقاني النجفي - م - ١ - باب الهمزة

(٣) عن رجال المامقاني النجفي - م - ٢ - باب الشين

(٤) تقدم ذكره - ص - ١٤ - نقلاً عن ماضي النجف - ص - ١٧٧

الطوسي الذي انتقل الى النجف سنة ١٤٤٩ هـ. والذي فتح — أول من فتح — باب التدريس على طريقة الاجتهاد ، المتبعة اليوم في النجف ، وأول من جمع من علماء النجف ، بين الحديث والفقه والاصول في مؤلفاته وأول من أوجد هيئة علمية ذات حلقات ونظم خاصة تخالف ما كان عليه حال النجف قبله .. وهذا مادفع البعض ، الى القول بتأسيس الجامعة النجفية على عهد الشيخ الطوسي ، ونسبتها اليه .. وقد أسلفنا الرد على هذا القول ، وتفنيد الفكرة ، وان الشيخ الطوسي لم يوجد العلم في النجف بعد أن كان معدوماً فيها وأن كل ما أتى به لا يقتضي أكثر من أن يسجل له التاريخ أنه صاحب عهد جديد ، ودور خاص ، أزهى العلم في عصره كما كان في عصر عضد الدولة على حد سواء ، في كثرة الطلاب وقوة العلم .

(٨) هيئة علمية

انتقل الشيخ الطوسي ، من بغداد — بسبب وقوع عدة فتن واختلافات فيها — الى النجف الاشرف ، فأسس فيها هيئة علمية كبرى ، وخرج على يده تلامذة كثيرون .. وقد جاء في كتاب (اختبار الرجال) ان مؤلفه (الشيخ الطوسي) أملاه على تلامذته ، في المشهد الغروي (١) ومن تلك الهيئة . أو هؤلاء التلاميذ ، الشيخ الأمين ، أبو عبد الله محمد بن شهر يار (صهر الشيخ الطوسي) .. ومنهم السيد رضى الدين محمد الآوي النجفي أحد النقباء الاشرف ، والعلماء الصالحاء .. ومنهم الشيخ أبو علي بن الشيخ الطوسي ، الملقب بالمفيد الثاني .. الى غير هؤلاء . من

تلاميذ الشيخ الطوسي ، مما يعدون بالعشرات ..

(٩) موت وحياته

وبعد وفاة الشيخ الطوسي سنة (٤٦١) هـ. قام ولده أبو علي الطوسي بمقامه في حفظ الحوزة العلمية ومنصب الرأسة الدينية .. وكان له ما كان لأبيه من ورود الأموال إليه ، وتوزيعها على الطلاب ، وتقسيمها على تلامذته الكثيرين ! . وقد جاء في نسخة من الأمالي أن مؤلفه أبو علي الطوسي أملاه على تلامذته ، في النجف الاشرف «١» .

ومما يظهر من كلام للسيد صدر الدين العاملي أن بعد وفاة أبي علي سنة «٥١٥» هـ وقفت حركة الدراسة في النجف واستمر وقوفها الى عهد الشيخ علي بن حمزة بن شهریار فكانت فترة دراسية بين هذا .. وذلك «٢» والذي رأبته أن ولد أبي علي الشيخ أبو منصور محمد هو الذي قام مقام أبيه .. قال ابن الفلاح الجنبلي عنه : شيخ الشيعة وعالمهم وابن شيخهم ، وعالمهم رحلت اليه طوائف الشيعة من كل جانب ، الى العراق وحملوا اليه - أي الاموال - وكان فوق ذلك مقدساً ، قال العماد الطبري : «لوجازت على غير الانبياء صلاة صليت عليه «٣» .

وفي عهد الشيخ علي بن حمزة بن شهریار سنة «٥٧٢» هـ تقوت الدراسة وتفشطت حركتها العلمية .. الذي شجع الناس الى العلم ورغبهم

(١) الذريعة الى تصانيف الشيعة (ج ٢٠ - ص ٣٠٩)

(٢) راجع كلامه في «ماضي النجف ص ٨٥» على الهامش

(٣) شذرات الذهب لابن الفلاح الجنبلي ٤٠٠ - ص ١٣٦

اليه فكان صاحب عهد جديد في تأريخ النجف العلمي ، كما كان سادن روضتها الحيدرية ، وصاحب مدرستها الدينية ، ومدير معهدھا الجليل وبعده استمرت الدراسة في النجف الى وقت طلوع نجم الدين أوالمحقق الحلي ، في مدينة « الحلة » ، التي تقوت الدراسة فيها حينئذ كما ضعفت في النجف ..

(١٠) الى الحلة

وعند نبوغ المحقق الحلي ، في اوائل القرن السابع للهجرة انتقلت اهيئة العلمية من النجف الى الحلة ، وصار الطلاب ورواد العلم اليها يرحلون حتى أخرجت علماء كباراً ، وفقهاء شيرين .. واستمر الوضع الدراسي فيها الى عهد نجر المحققين بن العلامة الحلي المتوفى سنة (٧٧١) هـ .

ورغم هذا الانتقال او هذه الفترة الدراسية فان السلسلة العلمية لم تنقطع - كل الانقطاع - عن النجف الاشراف .. وبدل عليها تخرج علماء كبار ، من النجف - في هذه المدة - نذكر منهم : نجم الأئمة محمد الاستربادي الشهير بالفاضل الرضي صاحب كتاب « شرح الكافية » الذي أثنى عليه « السيوطي » وفضله على جميع شروح الكافية ، وأغلب كتب النحو جمعاً وتحقيقاً وحسن تعليل .. وله فيه ابحاث كثيرة مع النجاة واختيارات حجة ، ومذاهب ينفرد بها .. (١)

وقد ألف هذا الكتاب في النجف سنة « ٦٨٣ » هـ بعد أن توطنها مدة .. وذكر في خطبته للشرح أن كل ما وجد فيه من شيء لطيف وتحقيق

شريف ، فهو من بركات تلك الحضرة المقدسة (١) ،

(١١) عود ورجوع

وبعد وفاة نجر المحققين في الحلة ، انتقلت الهيئة العلمية الى النجف :
حيث مركزها الأول ، ومقر العلم الشريف ..
رجعت الى النجف ، لان الحلة خلت من العلماء الكبار ولأن ملوك
السلطتين « الجلائرية والایلخانية » أرادوا أن يروا النجف عاصمة دينية
كما هي عاصمة علمية في مدة اقامتهم في العراق في القرن الثامن والتاسع من
الهجرة فبنوا لهم المساجد والمدارس ، وأمدوهم بالاموال الكثيرة على
نحو ما صنعه ملوك البويهيين من قبل ، في الدور الاول .. وقد شاهد
الرحالة « ابن بطوطة » ما بني على عهدهم من مدارس ، عندما زار النجف
(سنة ٧٢٧ هـ) واجتمع بعلمائها وفقهائها ، وتحدث عن تلك المدارس في
« رحلته » بحديث مملوء بالاجلال والاكبار ، والمدح والثناء (٢)

(١٢) علماء واباطال

ونختم هذا الحديث عن الدور الثاني - بذكر نخبة من كبار العلماء ،
من تخرجوا في عهد السلطتين « الجلائرية » والایلخانية « في أواخر
هذا الدور - : منهم الشيخ كمال الدين عبيد الرحمن بن محمد الشهير بأبي

(١) الخونساري في (روضات الجنات . في أحوال العلماء والسادات)

طبع ايران .

(٢) رحلة ابن بطوطة في الجزء (١) ص « ١٠٩ »

العنابي الحلبي التجني صاحب التصانيف الكثيرة ، التي أوقفها على المكتبة الحيدرية (١) في النجف ، ولا زالت فيها كتبه بخطه الشريف ككتاب « الارشاد » في الهندسة ، والتصريح في الطب الذي فرغ منه سنة ٧٧٤ هـ في المشهد الغروي (٢) ومنهم الشيخ أبو عبد الله المقداد السيوري ، المشهور « بالفاضل المقداد » المتوفي سنة (٨٢٦) هـ وصاحب كتاب (شرح باب الحادي عشر) الذي هو من الكتب الدراسية في النجف اليوم . وكانت له مدرسة علمية ، تعرف بأسمه اندرست ، مع ما اندرس من التأريخ الماضي . .

(١٣) الدور الثالث

ويبدأ الدور الثالث بعهد الشيخ أحمد بن محمد المعروف بالمقدس

(١) المكتبة الحيدرية في النجف ، من أقدم مكاتب النجف وأشرفها واعلمها أسست في أواسط هذا الدور (الثاني) لان الفاضل الرضي ألف شرحه على الكافي فيها (كما قيل) ولان بعض المؤرخين ذكر ان هذه المكتبة أحرقت سنة (٧٥٥) هـ فجددها جماعة - منهم ابن الآوي النجفي الذي كان صدرا للحكومة الايلخانية ، ومنهم فخر المحققين بن العلامة الحلبي . . وفي هذه المكتبة من النفائس والتحف القديمة ، الشيء الكثير ومن جملة ما قرآن بالخط الكوفي كتب عليه ، أنه بخط الامام علي ومنها شرح الدرديدية لابن خالويه بخط يده ، وقد تم تشييد الدار الفخمة لنقل المكتبة اليها واستفادة الرواد منها .

(٢) الذريعة لشيخنا آغا بزرك (ح ٤ ص ١٩٦)

الاردبيلي المتوفي سنة (٩٩٣) هـ. وقبره الى جنب مرقد الامام علي (ع) وهو ممن أحيا الدراسة العلمية ، وأدار حركتها في النجف ، بعد أن أشرفت على الهلاك ، وقاربت سلسلتها العلمية من الانفصال ، والانقطاع لولا أن هيا الله لها من يوصل ما فصل ، ويحرك ما استكن ذلك هو : « المقدس الاردبيلي » الجليل . . الذي ازدهر العلم بعصره ، ونهافت عليه الطلاب من هنا . . وهناك . . حتى تشكلت هيئة علمية كبيرة ، وساعد على ذلك ملوك الصفويين ، فبنوا لهم المدارس والمساجد ، وأمدوهم بالأموال كما صنع ملوك الدولة « الجلأريه » ، والابليخانيه « من قبل .

(١٤) تعريف واجمال

وكان الشيخ الاردبيلي على ما هو عليه من ضنك العيش وضعف المادة إذا بدى له حل مسألة يتطايّر فرحاً ويقول :
« أين الملوك وأبناء الملوك عن هذه اللذة » ؟ . . .
و « للمقدس الاردبيلي » مؤلفات جليلة منها « آيات الاحكام » و « شرح الارشاد » و « حديقه الشيعة » وغيرها ...
وقد تخرج عليه علماء كبار : منهم الشيخ حسن بن الشهيد الثاني العاملي صاحب كتاب « المعالم » في الاصول . . والسيد محمد العاملي صاحب كتاب « مدارك الاحكام » والشيخ ملا عبد الله النجفي مؤلف كتاب « الحاشيه » في المنطق ، وهذه الكتب الثلاثة لهؤلاء العلماء لم تزل من الكتب الدراسية في النجف الاشراف حتى اليوم !

(١٥) اختصارات و تقديرات

وفي أواخر القرن الحادي عشر للهجرة ، وقع تصادم بين المملكتين « الصفويه ، والعمانية » مما سبب قلة الهجرة ووفود الطلاب الى النجف الاشرف وثمة سبب آخر لذلك وهو ضغط « العمانيين » على العلماء ورجال الدين ، بعد استيلائهم على العراق على العكس مما كان عليه « الصفويون » من تقدير العلم واحترام رجاله ومع هذه الشدة فان الدراسة في استمرار متصل ، كما يدل عليه تخرج علماء كبار ، وفقهاء كثيرين ، نذكر منهم الشيخ نضر الدين الطريحي المتوفى « ١٠٨٥ هـ » صاحب كتاب مجمع البحرين في اللغة وربما عد منهم الشيخ البهائي صاحب (الكشكول) والعلامة المحامي صاحب (البحار) والمحقق السركي العاملي الى غير هؤلاء ، ممن قضى مدة من الزمن في النجف الاشرف بالدرس والتدريس

(١٦) علماء وابطال

ونختم هذا الحديث عن (الدور الثالث) بذكر جماعة من العلماء الكبار تخرجوا من النجف في اوائل القرن الثاني عشر الهجري .
منهم الشيخ محمد الفتوي العاملي النجفي المتوفى سنة « ١١٣٨ هـ » صاحب كتاب (مرآة الانوار) في التفسير .
ومنهم الشيخ أحمد بن اسماعيل الجزائري النجفي المتوفى سنة (١١٥١ هـ) صاحب كتاب « آيات الاحكام » .
ومنهم الشيخ حسن بن العباس بن الشيخ محمد علي البلاغي ، صاحب

(تنقيح المقال ، في علم الرجال) ، ووالد الشيخ عباس ، الذي هاجر الى جبل عامله ، وتوفي هناك .. الى غير هؤلاء .

(١٧) المور الرابع

وببدأ هذا الدور ، بعهد السيد محمد مهدي بن السيد مرتضى الطباطبائي الشهير بالسيد (بحر العلوم) المتوفي سنة (١٢١٢) هـ .. وقبره الى جنب قبر الشيخ الطوسي في النجف ، ويعد السيد من كبار الطائفة ، واجلاء علماء الاسلام ! ولنا ان نسمي عصره بعصر النهضة العلمية ، لكثرة من نبغ فيه من الفحول السكبار والعلماء والاجلاء ، وكثرة تهافت الناس على العلم فيه ، وازدياد الطلاب .. واستمرت تلك النهضة العلمية ، الى ما بعد وفاته وضلت تبحر ذبولها الى آخر هذا الدور . الذي لم يبلغه عهد ما بلغه .. من انتشار العلم ، وكثرة الطلاب حتى بلغت طلابه نحو العشرة آلاف طالب ! أو أقل ، أو واكثر ، على اختلاف المحصين ولحاظاتهم .. كل ذلك بفضل السيد بحر العلوم مؤسس النهضة ، ومخرج الفحول .

(١٨) علماء كبار

ونذكر فيما يلي جماعة من العلماء السكبار ممن تخرجوا من النجف في هذا الدور منهم الشيخ : جمقر بن الشيخ خضر الجاحي المعروف بالشيخ الاكبر ، و [كاشف الغطاء] صاحب كتاب (كشف الغطاء) الذي يقول عنه الشيخ مرتضى الانصاري : من أتقن القواعد الاصولية التي أودعها الشيخ في كشفه فهو عندي مجتهد ومنهم السيد جواد بن السيد محمد

العالمى صاحب كتاب (مفتاح الكرامة) الذي يقول : عنه (الخونساري) في كتابه (روضات الجنات) (لم تر عين الزمان أبداً بمثله ، كتاباً مستوفياً ، لأقوال الفقهاء ومواقع الاجماع وموارد الاشتهارات وامثال ذلك . .) ، ومنهم الشيخ محمد حسن الشهير (بالجواهري الكبير) صاحب (جواهر الكلام) الذي هو : في الفقه ، ككتاب (البحار) في الحديث مرجعاً . وسعة ، ومنهم الشيخ مرتضى الانصاري الذي لاتزال مؤلفاته من الكتب الدراسية ، ونظرياته في الفقه والاصول لاتزال محل الاخذ والعتاء والاهتمام والاكبار لها بين الفطاحل والمجتهدين . ، ومنهم السيد كاظم اليزدي صاحب (المروة الوثقى) في الفقه ، ومنهم الميرزا النائني صاحب النظريات الاصولية الشائعة على لسان العلماء والطلاب ، الى غير هؤلاء الفحول ممن تخرجوا من الجنف في هذا الدور الاخير .

(١٩) بيوت وعائلات

ونذكر هنا قسماً من العائلات العلمية النجفية - التي هي كمدارس سيارة ، تخرج العلماء والابطال ، ويتوارث حفظها الابناء بعد الاباء - لأن اكثرها انشئت في هذا الدور منها عائلة : آل الاعسم وآل بحر العلوم وآل الجزائري وآل الجواهري وآل الحكيم وآل شير وآل شيخ راضي وآل الطريحي وآل العاملي وآل القزويني وآل كاشف الغطاء وآل محي الدين وآل المظفر وغيرها ، ولا تزال اكثر هذه العائلات حتى هذا العهد وفيهم اليوم المراجع والمجتهدون ، والعلماء والفقهاء ، وذوو ، بيوت مرموقة أو قفوا نفوسهم لأستقبال الضيوف وخدمة الأمة واعانة

الطلاب . . .

(٢٠) قوة وانتشار

توسع العلم في هذا الدور وكثر طلابه - وخاصة في آخره - بواسطة أمور كثيرة . . يرجع بعضها الى نظر الحكومة لها واهتمام العلماء بها وسخاء المثريين من المؤمنين لبناء المدارس وتشديد المعاهد وتقديم التبرعات وتأدية الحقوق ، ويرجع بعضها الى المخترعات الحديثة بانتشار الطبع للكتب ، وتسهيل وسائل النقل الى غير ذلك من الامور التي تعود الى تحبيب العلم والترغيب له ، وهذه القوة العلمية وكثرة الطلاب . وجدت في أوائل هذا الدور ، ولا زالت مستمرة حتى اليوم ، رغم وقوع عدة نورات وحروب ، ورغم توزع العلم هنا وهناك !!

(٢١) تأسيس مدارس

وبالرغم من تأسيس عدة مدارس دينية في أماكن مختلفة ، وتوجه الطلاب اليها فان النجف لم تزل محتفظة بتلك الكثرة من الطلاب ، ورآستها على غيرها من معاهد العلم . . ، ففي كربلا أنشئت هيئة علمية تخرج منها أمثال الشيخ محمد باقر البهبهاني ، الملقب « بالأستاذ الأكبر » والشيخ يوسف البحراني صاحب كتاب « الحقائق » في الفقه . . . والشيخ محمد حسين صاحب كتاب « الفصول » في الأصول . . ، وأمثال شريف العلماء ، وصاحب « الرياض » ، والدأمد وكثير غيرهم . . ولا زالت مدارس كربلا آهلة بالطلاب حتى اليوم . . ، وفي السكاظمية تأسست

هيئة علمية ، وعدة حلقات يشغلها آل ياسين ، وآل الصدر ، وغيرهما وفيها أنشئت مدرسة الامام الخاوي . . وفي سامراء هيئة علمية أسسها الزعيم الديني ميرزا (محمد حسن) المتوفى سنة « ١٣١٢ هـ » . وفي قم هيئة علمية أسسها الشيخ عبد الكريم الخاوي اليزدي . . ولا تزال مدارسها اليوم تزهو بالعلم ، ويرجى أن يكون لها مستقبل منعدم النظير كما نذل عليه بعض الملاح ، وماورد في الاخبار (١) .

(٢٢) تورات وحرروب

وبالرغم من وقوع عدة حوادث وحرروب ، في هذا الدور لم يزعزع شيء من قوة النجف ، وعزيمتها الثابتة !

ففي عصر الشيخ جعفر الكبير ، عندما بدأ الوهابيون في توراتهم كانت النجف وعلمائها تستعد لمكافحة ذلك وتعمل ماتعمله كل دولة صغيرة من التجنيد والتدريب على حمل السلاح ، وكيفية الرمي كما يدرّب حماة الوطن اليوم . . . وهكذا كان الحال بعد الشيخ الكبير ، وقبل عهدنا هذا بقليل ، حتى أصبح تدخل العلماء ، ورجال الدين في السياسة وأمور الدولة من الأمور المألوفة ، فهذه الثورة العراقية والثورة النجفية لاستقلال العراق ، كانت اليد الطولى فيها لمجتهد النجف وعلمائها ،

(١) كانت رحلتنا لأيران - سنة ١٣٧٢ هـ بصحبة الأخ الشيخ نجيب الخطيب - رحلة مختصرة لم نستطع خلالها ان ندرس حالة جامعة « قم » او دارالايمان - كما تسمى - ومن كتب عنها لم يعد التعريف القصير لها لهذا وذلك نرجو من فضلائها ، الكتابة عنها كتابة وافية .

أمثال الأخوان صاحب الكفاية والسيد أبو القاسم الكاشاني والسيد محمد سعيد الخبوبي، والخالصي الكبير، والعلامة الجزائري والمصلح الشهرستاني وغيرهم من علماء النجف (١).

وكان تدخل العلماء في السياسة وأمور الدولة، لا يخرج عن حدود الدفاع عن الدين الاسلامي. وجذب المصلحة للاسلام والمسلمين...

(٢٣) راية المطاف

« وبعد » فهذه لمحة خاطفة وصورة مصغرة، عن أدوار الجامعة النجفية وعصورها العلمية، مع من نبغ فيها من العلماء والمجتهدين السكبار الذين تقوت الدراسة العلمية في وجودهم وتذشعت المعارف الإسلامية في عصورهم، ومع ما تقدم عليها من الثورات والتقلبات السياسية التي سببت قلة الهجرة إليها ونزوح طلابها عنها.

وكأنني بالطالب النجفي يقف عند آخر كلمة من هذا الحديث ! ثم لا أراه يعيد نظره لماضي النجف مرة أخرى ليوازن أو يقيس. بين أدوار النجف وعصورها العلمية - كما وعدنا في مستهل هذا الحديث - ، بل أراه قد انتقل - فجأة - لمستقبل النجف القريب أو البعيد، تاركاً خلفه ماضي النجف لأبنائها الماضين، وجاءلاً أمامه كلمة الامام علي (ع) حيث يقول: « علموا أولادكم غير ما علمتم. فانهم خلقوا لزمان غير زمانكم » فهو لهذا راح بوجه كل فكره الى ما ينقشه خياله على صفحة خاطره: حول الخطط. والتنظيمات التي ينبغي أن يسير عليها مستقبل النجف.

(١) راجع ماضي النجف وحاضرها - ص - ٢٤٦ - وما بعدها.

وطلابها النشيطون !! ، مما يلائم حاضـر العالم المتـمدن . ومـستقبل الاسلام الحنيف - الذي هو دين المستقبل ، كما تنبأه الفيلسوف الانكليزي « برنادرشو » في كتاب أصدره عن الاسلام ، وأحرقته الكنيسة المسيحية في أوربا ، بعد أن نشر قسماً منه في الصحف الانكليزية وأخذت صورتها الصحف العربية - ، وهكذا ظل يرسم خطوطاً كثيرة !! في عوالم مختلفة عن مستقبل الجامعة . وحركتها الاصلاحية . ونهضة طلابها التي هي على وشك الوقوع . والتطبيق والتنـجيز ..

وقد بدت للعالم ملامح تلك النهضة النجفية ،

وحركتها الدينية الاسلامية ، في الكتب . والمجلات وعلى الاعواد والمنابر .. رى النجفيين في تلك .. يحملون سلاح العلم والدين ، ويهتفون بالوحدة . والاسلام . والتمسك بالقرآن . والامر بالمعروف . والنهي عن المنكر . ومعاكسة اعداء الدين . ومكافحة الاراء الشاذة والنظريات الماركسية الساقطة . والكلمات السخيفة ..

ويهتفون ايضاً بقدسية النجف . وروحيتها ، وعلمائها . ومجتهديها ، وما يتعلق برسالتها الاصلاحية . وهدفها السامي . والغرض الاقصى الجليل !! لتؤدي النجف رسالتها العالمية العليا ، ولتنشرها في جميع البلدان والاقطار الاسلامية ، ولتكون جامعة . وخرى يجوها جامعيون بمليء القم . وما تنظم هاتان الكلمتان !!

هذا ما يريده شباب الجيل الجديد . وطلاب العلم الديني واليه يهتفون وله يدعون في مؤلفاتهم . ومقالاتهم ومحاضراتهم الدينية . ويضيفون الى

ذلك في هتافاتهم آيات . وروايات جلييلة تشفع بالارشاد . والتوجيه .
والاصلاح والتنبيه ، وكانني بهم وهم يرددون قول هذا الشاعر :

بني المعاهد هبوا طال نومكم قد هيا الله هذا المصالح البطلا
وبعد وجود مصالح اكبر — لا كما يقول الشاعر — : وتيقض او تنبه بني
المعاهد . نصل الهدف المقصود والغرض الاقصى وبعد ذلك يكون
الدور الذي يلي دورنا هذا .. هو الدور الخامس لجامعة النجف ،
والدور الاول أيضاً . ، وان كان آخر الادوار ، على نحو مقاله فيلسوف
الشعراء ! وشاعر المعرة :

وإني وان كنت الاخير زمانه لآت بما لم تسطعه الأوائل



الفصل الثالث

معاهد الجامعة النجفية

- | | |
|-----------------|-------------------|
| «١» تمهيد | «٥٥» مشيدات خالدة |
| «٢» الى الأندلس | «٦» جولة صغيرة |
| «٣» في بغداد | «٧» نظرة للماضي |
| «٤» هنا وهناك | «٨» خاتمة المطاف |

(١) مظهر

لا بد لنا - ونحن نتحدث عن الجامعة النجفية - أن نمر بتلك المعاهد العلمية . ونقف أمام تلك المدارس الدينية ، للعضة والاعتبار ، والعلم والاطلاع والفائدة ، وقبل الشروع في هذا الحديث لا بأس أن نلمح الى حديث آخر عن معاهد الاندلس ، ومدارس بغداد ، ومعاهد إسلامية أخرى بين الامس واليوم ، الى غير ذلك مما تذكرنا به مدارس النجف اليوم . .

ويتضح لنا أهمية هذه المدارس الإسلامية - بكلمة مختصرة - ماقاله العالم الألماني (ريثر) : « إن المدارس الفقهية ، والتفكير الديني في الاسلام يمثلان الفلسفة العربية أكثر مما يمثلها جمهور الفلاسفة أتباع (ارسطو) كالفارابي ، وابن سينا وابن رشد وغيرهم (١)

(٢) الى الاندلس

تذكرنا المدارس النجفية بمعاهد الاندلس العلمية ومدارسها الإسلامية

(١) أخذ السيد قطب فكرة هذا الألماني في كتابه « العدالة الاجتماعية في الاسلام » وراح يحارب بها الازهر ، ويحمل على معاهده العلمية حيث قال : وبدلاً أن ينهض الازهر بهذه الرسالة (فلسفة الفقه) راح يدرس في كلية أصول الدين ، ما يسمى خطأً بالفلسفة الإسلامية من كتب ابن سينا ، وابن رشد ، هذه الانعكاسات للفلسفة الاغريقية التي لاصلة لها بحقيقة الفكرة الإسلامية الكلية ..

التي كانت في « بامبلونه » و « سيجوفيا » و « برشلونه » و (طليطله) وغيرها .. هذه المدارس العربية التي يعود الفضل اليها في نقل ثقافة العرب الى الغرب ، حيث أنها المقياس الذي أفاد الغربيين من نوره واهتدوا بهديه . ومنذ ذلك الحين بدأت الدراسات الشرقية وتعليمها في مدارس الغرب ، وشرع المستشرقون في ترجمة الكتب العربية الاسلامية الى سائر اللغات الحية في العالم .

(٣) في بغداد

وتذكرنا هذه المدارس النجفية أيضاً بمدارس بغداد الشهيرة كمدرسة « دار العلم » لنقيب الاشراف السيد الرضي التي كان ينفق عليها وعلى طلابها من ماله الخاص (١) كما أسس فيها مكتبة كبيرة .. هذا مضافاً الى ناديه العلمي الادبي ، الذي كان يجتمع فيه للمذاكرة والمناقشة في العلم والادب .. وهذا النادي ليس كنوادي هذا العصر مقيداً بنظام خاص ، بل هو مجمع للعلماء والادباء ، كما هو الحال في نوادي النجف اليوم ومجالسها العلمية الادبية ، ومن مدارس بغداد الشهيرة ، المدرسة المستنصرية ، التي شيدها الخليفة « المستنصر بالله » في القرن السابع الهجري . وهي كما حدثنا (ابن الفوطي) من أنها كانت تضم نحو ثلثمائة متفقه . وكان لهم رواتب (١) قال الشيخ البهائي في كشكوله : (كان للشيخ أبي جعفر الطوسي أيام قرائته على السيد المرتضى كل شهر اثني عشر ديناراً ولابي البراج كل شهر ثمانية دنانير) ومن هنا نعرف سبق الاسلام في التعليم المجاني لجميع مدارس العالم ومعاهد أوروبا .

من مال ، وطعام . ولباس ، وصابون ، وحلوى الى غير ذلك (١)

(٤) هنا وهناك

وتذكرنا هذه المدارس النجفية ايضاً ، بمدارس اسلامية اخرى (كما اطلق عليها المؤرخون) متفرقة هنا وهناك ، ليس لها بنايات خاصة كالتي نتحدث عنها من مدارس بغداد أمس ، ومعاهد النجف اليوم تلك امثال مدارس البصرة التي خرجت اخوان الصفا ، وسيبويه ، وامثال مدارس جبل عامل التي تخرج منها الامام الشهيد الأول ، والبهائي الجبلي والحر العاملي ، وامثال مدارس الحلة التي خرجت المحقق الحلي ، والعلامة الحلي ، وابن ادريس ، الى غير تلك المدارس .. وانما كانت مدارس هؤلاء ، في تلك المدن ، هي بيوتهم ومساجدهم ، فيكون اطلاق المدرسة على تلك لا يخلو من تسامح وتساهل

(٥) مسيرات خالدة

وعلى كل حال ، ليس لهذه المدارس أثر اليوم ، الا قسماً منها - أبقاها الله حفظاً لقرآنه ، اذهو القائل (وانا له لحافظون) وتخليداً لسنة كما قال تعالى « ولن تجد لسنة الله تبديلاً » - استطاعت أن تخلص نفسها من يد الدهر ، كمدارس جامع الازهر في مصر ، ومدارس قم المعصومة في ايران ، ومدارس النجف الاشرف في العراق .. هذه المدارس هي البقية (١) صفحة ٥٣ من (الحوادث الجامعة) لابن القوطي المطبوع في بغداد

بتحقيق وتعليق الدكتور مصطفى جواد .

الخالدة من تلك المدارس القديمة التي تغنى بها المستشرقون ، والتأريخ القديم والحديث ! هذه المدارس الثلاث ، هي المدارس الكبرى ، التي يرجع اليها المسلمون في شرق الارض وغربها ، والتي يعود اليها الفضل في نشر الاسلام في المناطق النائية ، وبثه والتبشير به .. واما غيرها من المدارس الاسلامية الموجودة اليوم ، في ايران والعراق ، ومصر ، وتونس ومراكش واليمن والحجاز ، وسوريا ولبنان ، والهند والافغان ، وغيرها .. فهي فروع عنها وتابعة لها .

(٦) مهولة صغيرة

ولو رجعنا لتأريخ تشييد معاهد الجامعة النجفية الحاضرة اليوم ، لوجدناها شيدت جميعها في وقت متأخر في مدة لا تزيد على سبعين عاماً في حين أن المدارس في النجف اليوم تقرب من عشرين مدرسة علمية ، اذ اقدم مدارس النجف اليوم ، مدرسة الصدر - للحاج محمد حسين خان الأصهباني الذي كان يشغل منصب الصدارة ، أو رئاسة الوزارة للسلطان فتح على شاه القاجري - التي تأسست في الشهر الاول من القرن الثالث عشر الهجري ، ولا تزال تبنى المدارس في النجف حتى الآن . فهذه مدرسة آية الله البروجردي الجديدة التي ستكون في ثلاثة طوابق على اجمل طراز وأحدث بناء .. ومن المدارس النجفية الشهيرة اليوم ، مدرسة السيد كاظم اليزدي التي هي اكبر مدارس النجف وأجملها في الهندسة ، والفخامة ، وبعدها مدرسة الآخذ الكبرى ، والوسطى ، ومدرسة الخليلي الكبرى ومدرسة القوام ، والمدرسة الاحمدية ، والمدرسة الهندية ، والمدرسة

المهدية ، ومدرسة البخاري ، والقزويني ، وبادكوبا ، والابرواني .. ومنها مدرسة المعتمد — المعتمد الدولة عباس قلي خان وزير السلطان محمد شاه القاجري — أو مدرسة كاشف الغطاء التي أعاد بناءها على طراز حديث ووضع فيها مكتبة عامه .. وقد مر دور على هذه المدرسة وهي ذات نظام وامتحان وشهادات .. ولكنها لم تدم على ذلك حتى عادت لطريقتها الاولى ..

ومنها مدرسة منتدى النشر التي يعود اليها الفضل في نشر الكتب وطبعها واخراج الكتاب ، والخطباء الكثيرين! الى غير هذه من المدارس الصغيرة . والقديمة المنهدمة

(٧) نظرة للماضي

وقبل تشييد هذه المدارس ، كانت في النجف مدارس اخرى (١) قد مضت مع ما مضى من الدهر ، ولم يحدثنا التاريخ الا عن بعضها كمدرسة المقداد السيوري « العاملي » المؤسسة في القرن الثامن الهجري ومدرسة (١) ويدل على وجود مدارس في النجف ، غير ما ذكرناها ، ما اشار اليها ابن (بطوطة) الذي زار النجف سنة ٧٣٧ هجرية وتحدث عن مدارسها في رحلته حيث قال : « ج ١ ص ١٠٩ » وبازاء قبر علي المدارس وقوله : ويدخل من باب الحضرة الى مدرسة عظيمة يمكنها الطلبة والصوفية من الشيعة كما أنه ذكر من مدارس النجف (مدرسة الضياف) وجاء في ماضي النجف (ص ٨٥) نقلا عن كتاب فارسي ان السلطان محمد خدابنده وابنه ابو سعيد بنى مدرسة في النجف في القرن الثامن للهجرة .

الشيخ ملا عبدالله النجفي في القرن العاشر ، ومدرسة الحيدرية الموجودة في الجانب الشمالي من الصحن العلوي الشريف التي كانت في زمن العثمانيين تخلص الطلاب من الجندية وهي اليوم مقر للفقراء من الزائرين ، وكانت الصحن العلوي الشريف المركز الأعلى للطلاب في اجتماعاتهم ومذاكراتهم والمقر الرئيسي للعلماء والمجتهدين في أبحاثهم وعباداتهم ، ولو أنهم به مع الطابق الأعلى منه وخفت القدم عنه في أوقات مخصوصه لكان في طليعة معاهد النجف ومدارسها العلمية الحافة به ، كأحتفاف معاهد جامع الازهر به ومدارسه التابعة له (١)

٨ خاتمة المطاف

هذه لمحة عن مدارس الجامعة النجفية ، ومعاهدها العلمية الدينية ، مع ما يتبعها من حديث للتمهيد والمقارنة . والذكرى ، هذه المعاهد النجفية التي أطلق عليها بعض الأدباء اسم الجامعة الصامطة ! وهي ليست بصامطة (ان صح التعبير) وكأني بها — كما أتخيل — تقف امام الجماهير الغفيرة من المسلمين القريبيين والبعيدين الذين ينظرون اليها بعين الاكبار والاحلال !

(١) وثمة ربط ثانى وقرابة اخرى ، بين هذين الجامعين وهو تشييدهما من دولتين شيعتين وتأسيسهما في زمانين متقاربين ، فقد اسس الاولى — الصحن العلوي — ملوك البويهيين في القرن الرابع الهجري وبنى الثاني — الازهر — ملوك الفاطميين في القرن الخامس الهجري واصل لتشييد هذين الجامعين من هاتين الدولتين سرأ هناك لم يتحدث عنه كاتب وما تعرض له التاريخ .

لنقره صحيفه حياتها ، وما سطرته بدالتاريخ ، وما تشكوه من المآسي
التي مرت عليها ، وما تطلبه من الاصلاح والاهتمام بها . وما اثبتته في صحيفتها
من الشكر والتذمر والانس والحزن ، والهدم والبناء ، والحل والعقد ،
الى غير ذلك من الامور التي تراها متناقضة حسب حالة المسلمين وحكوماتهم
المبعثرة ، وحالة الوضع الديني اليوم اعاذنا الله من عاقبته .. ونحن نكتفي
بهذه التلويحات ونحيل التفصيل الى مشاهدة كتب النجف وطلابها وحلقاتها
ومجالسها ومدارسها ومعاهدها ايضاً ، علَّ هناك من يسمع أو يبصر ..



الفصل الرابع

نظام الجامعة النجفية

- | | |
|-------------------|---------------------|
| ١ — تمهيد | ٧ — لغة الدراسة |
| ٢ — نظام الزي | ٨ — النظام المالي |
| ٣ — كتب الدراسة | ٩ — إمتحان وشهادات |
| ٤ — أقسام الدراسة | ١٠ — العطل الدراسية |
| ٥ — طريقة الدراسة | ١١ — مقايسة وتوجيه |
| ٦ — بحث وحوار | ١٢ — الكلمة الأخيرة |

(١) تمهيد

يتساءل البعض هل يوجد نظام في جامعة النجف ؟ فيكون الجواب مرة بالنفي (لا) لأن نظامها لا يشبه نظام الجامع الأزهر ، أو المدارس الحديثة اليوم ، ويكون الجواب مرة أخرى بالإيجاب (نعم) نظراً لما تضم هذه الجامعة من نظم خاصة كنظام الزي ، والكتب ، واللغة والمال ، والامتحان ، والشهادات ، والمطل الدراسية ، الى غير ذلك مما هو من صميم النظام وجوهره وحقيقته . . ويمتاز نظام النجف بالخدمة الصحيحة والعمل المتقن والاعتناء بالمعنويات والجوهريات . . وليس للمظاهر الفارغة والشكليات المزخرفة الأثر المهم والاعتناء الكامل عندها . . والطالب النجفي في مراحل دراسته لا يفكر بأن يحضى بكري ، أو يستحصل على شهادة أو يجوز عقبة امتحان أكثر من ان يفكر ويهتم بطلب العلم لنفسه . ولربه . ودينه . ومبدئه . ووطنه وأبناء جنسه . وجلدته (١)

(١) في الذكرى الالفى لجامع الأزهر سنة ١٣٦١ هـ ، القى أحد أساتذته كلمة جاء فيها « ما بعد الفرق — أيها المعهد العتيق — بين يومك وامسك ، لقد كان طلابك مثلاً علياً . في الجد والاقبال . على العلم ينقطعون اليك ! ويؤثرونك على اوطانهم . وأهلهم . ويرتشفون من مناهل علمك ! ويعترفون من بحار فضلك . تدفعهم الرغبة المخلصة وتغريهم اللذة العلمية وكان — الطلاب — مثلاً علياً في الخلق والاستقامة وحسن الطاعة . لا يشاورون . ولا يمارون : ولا يصخبون —

وفيا يلي عرض موجز لمصاديق ذلك النظام ، مع ما يتصل به ،
ويتعلق فيه ..

(٢) نظام الزي

عند دخول الطالب للجامعة النجفية يبدء — أول ما يبدأ —
بلبس العمة ، والجبّة الاسلاميتين اللتين كانت التي يرتديها والأئمة
المعصومون (ع) والخلفاء الراشدون . كما يدل على ذلك التاريخ
الاسلامي ، والحديث النبوي المستفيض . وقد أخذ الاسلام زيه هذا
عن العرب وامرأئهم قبل ، إذ لم يشرع الاسلام زيا خاصاً ، غير
ما كان عليه العرب ، الذي نشأ بين ظهرانهم ، وبدأ دعوته فيهم ،
ولذلك قيل في المثل العربي القديم « المائم تيجان العرب ! » وجاء في
الحديث « تعمموا فان الشياطين لا تعمم » (١) واستمر هذا الزي

— ولا يصبحون ! ويخضعون رؤسهم لاساتذتهم متأدين ! ويسمعون
الى رؤسائهم طائعين . أما اليوم فقد جرائهم الاساتذة : ولحظهم الرؤساء
وشغلتهم عن العلم المطالب والرغائب واصبحوا لا يعملون إلا لاجتياز الامتحان
إلى آخر المقال المنشور في س ١٠ من الرسالة . ومما ذكر . نعرف اهمية
الاخلاص والافتان في العمل التي تمتاز به النجف على الأزهر لقربها لاروبا
(١) ويرى المصلح الاكبر السيد هبة الدين الشهرستاني . أن
العمامة زي شرقي . لا فرق بين عربييه وأعجميه . في كلمة له عن تاريخ
العمائم في مجلة (المرشد) البغدادية (٢ م ج ٦)

للتابعين - وتابعي التابعين - وأشرف المسلمين وعلمائهم ومحدثيهم .. الى عصر الخليفة الرشيد ، الذي أمر فيه - في سنة - ١٨٣ هـ - أبو يوسف قاضي قضاة الكوفة ، في عهده ، بتوحيد اللباس الديني ، وتخصيصه بعلماء الدين ، ونزعه عن سواهم ، كما حدثتنا بذلك بعض الكتب التاريخية « ١ » . وهذا يشبه ماصنعتة حكومة سوريا حديثاً - في سنة ١٣٧١ هـ - باصدار قانون للباس الديني ، ومن يتزيا بذلك الزي الشريف وقبل سوريا تحدثت به إيران ، والعراق ، ولكنه لم يتم فيها .. ويا حبذا لو عادتنا الى الفكرة ثانياً .. هذا هو اللباس الروحي ونظامه ولمحة عن تاريخه

(٣) كتب الدراسة

واما كتب الدراسة في هذه الجامعة فهي في علم النحو :

- (أ) شرح الاجرومية لابن أجروم (*) (ب) شرح القطر لابن هشام (ج) شرح الالفية لابن الناظم . وربما درس غير تلك كالفية ابن عقيل

(١) كتاب (تنمة المنتهى في وقائع ايام الخلفاء) باللغة الفارسية للشيخ عباس القمي (ص : ٢٤٦) .

(*) كتاب الاجرومية من اشهر كتب النحو القديمة ، ومؤلفه ابن اجروم الذي هو من خريجي جامع (القرويين) ومعهدا الاسلامي في المغرب ، الذي أسسته امرته - واعلمها علوية - اسمها السيدة ام البنين فاطمة بنت محمد الفهري ، ونسبة هذا المعهد الى الازهر كنسبة معهد كربلا والكاظمية الى النجف . وقد كتب عنه بعضهم كتابة وافية في السنة (٦) من مجلة « الرسالة المصرية »

وشرح جامي . وربما توسع الطاب فيدرس (المغني) ..
وفي علم المنطق : (أ) كتاب الحاشية لملا عبد الله النجفي (ب) شرح
الشمسية لقطب الدين الرازي . وربما توسع الطاب فيدرس (شرح
المطالع) .

وفي علم المعاني والبيان والبديع (أ) الشرح المختصر للتفتزاني (ب) الشرح
المطول . وربما اكتفى بأحدهما عن الآخر .

وفي علم الاصول (أ) المعالم للشيخ حسن بن الشهيد الثاني العاملي
(ب) الكفاية للأخوند (ج) الرسائل للانصاري .

وربما درس كتاب القوانين وكتاب الفصول
وفي الفقه (أ) كتاب الشرايع للمحقق الحلي (ب) شرح اللمعة
لشهيدين - ج - كتاب المسالك أو المدارك أو غيرها من الكتب الفقهية
وفي الحكمه والكلام : - أ - شرح باب الحادي عشر للسيوري .
- ب - شرح التجريد للحلي « ج » منظومة السبزواري وربما درس من
هذا العلم كتاب الاسفار لملا صدرا .

ويدرس في علم الحساب كتاب « الخلاصة » للبهائي . وفي علم الهيثية
كتاب « الاسطرلاب » للبهائي ، وفي الهندسة « اشكال اقليدس » ، وفي
البقة كتاب « المنجد » و « مجمع البحرين » و « القاموس » وفي الرجال
كتاب « رجال المامغاني » و « رجال ابي علي » وغيرها ، وفي الحديث
كتاب « الرسائل » و — والبحار — وأمثالها ، وفي التربية والتعليم ،
كتاب « آداب المفيد والمستفيد » للشهيد العاملي ، الى غير هذه الكتب
وغير هذه العلوم من القديمة والحديثة ، وهذه الكتب الدراسية التي ليس

لطلاب أن يدرس غيرها، وعلى غير التسلسل المذكور — لا يخلو أكثرها من الحواشي والتعليقات، التي تشوش ذهن الطالب وتضيّع عليه فهم الأصل ولذلك منع الازهر مطالعتها في السنين الأربع الأولى، وأصدر في ذلك قانوناً سنة « ١٣١٤ هـ » « ١ » ولهذا أيضاً اشتهر بين طلاب النجف [الحواشي غواشي]

(٤) أقسام الدراسة

والدراسة في هذه الجامعة النجفية تنقسم الى قسمين :

القسم الاول ويسمى بالدرس السطحي وهو ان يحضر الطالب كتابه، ويقره استاذ عليه العبارة ويشرحها ويفسر غرض المصنف منها.. وهذا القسم فيه جميع العلوم القديمة والحديثة — ولا سيما العلوم المتقدمة — والقسم الثاني ويسمى بالدرس الخارج وهو أشبه بمحاضرات لا يحضر فيه الاستاذ، ولا التلميذ كتاباً من موضوع ما يلقيه الاستاذ، وهو اليوم خاص بملمي الفقه والاصول. وعلم الفلسفة والتفسير ايضاً.. وفي كلا هذين القسمين تكون حالة الطلاب مع اساتذتهم على شكل حلقة مستديرة. تحيط بالاستاذ الجليل! مفترشة ما على الارض في الجلوس بدل الكراسي والمنصات ومع هذا التبسط والجلوس المتواضع فان لتلك الحلقات الجميلة من الهيبة والروعة. بما لا نراه في غيرها من الحالات !!

(٥) طريقة الدراسة

إن أهم ما في طريقة الدراسة النجفية هي الحرية الكاملة التي يحظى بها الأستاذ والتلميذ معاً ، وهي أشبه شيء بالطريقة الدراسية ، التي كان عليها الإمام الصادق (ع) مع تلامذته . كما يحدثنا عنها المستشرق « رونالدسن » حيث قال : « سقراطية يأخذ المتلمذين بالحوار والمحادثة ويتدرج من المسائل الساذجة إلى المسائل المركبة ، والمطالب المعقدة والأسرار الغامضة » .. وكما أن للأستاذ أن يلقي ويرثي بما يشاء ، كذلك للطالب أن يعترض بما شاء ويناقش استاذَه ، ويسأله على غير حد .. وجامع الأزهر وإن منع السؤال بأكثر من ثلاث مرات ، وأصدر قانوناً في ذلك — سنة ١٣١٤ هـ — ولكن هذا التحديد ، لا يخلو من الاحتكار للعلم والضغط على الطالب ، كما يجعل الأستاذ فيه ، أن يهذي بما يشاء على نحو . ما حدثنا به عن بعض شيوخ « الأزهر » في يوم جاء تدريس تلامذته في درس لم يكن قد طالعه ، وكان فيه هذا البيت المشهور « كادت نفوس القوم عند الغلصمة » فقرئه الأستاذ بالقاء بدل الغين !! فلما اعترضه طالب سبه . واهانه وتخلص بتأخضات واهية « ١ »

« ٦ » بحث وهوار

وهناك — في الجامعة النجفية — نحو من الدراسة ، يسمى بالمذاكرة

١ - المرحوم الشيخ محسن شراره في مقال له عن النجف في مجلة
العرفان - م ١٦ ص ١٠٠ -

والبحث ، وهو أن يتفق طالبان على وقت خاص ، وفي موضوع خاص ..
 ثم يجتمعان ، يأخذانه بالبحث والحوار ، والمناقشة والخلاف .. وقد قيل
 ان الدراسة النهائية ، في بعض معاهد أوروبا ، على هذا النحو ، أو قريب
 منه .. وهذا هو الذي يدعو اليه ، المفكر العالمي « برناردشو » حيث
 يقول : « تعلموا كل شيء بواسطة الجدل ، والوقوف على الآراء المتناقضة
 واعلموا أن هناك مؤامرة أبدية ، تريد ان توقفكم على وجهة نظر واحدة
 فأحبطوها باتباع نصيحتي » ويقول : « ثم عليكم ان تجدوا اساتذتكم
 فاذا أدلى استاذ التاريخ برأيه . فقولوا له لقد سمعنا رأيك لكننا سنبحث
 عن استاذ يخالفك في الرأي فاسمح لنا ان نستمع اليكما وأنما تتناظران
 كل منكما بدافع عن وجهة نظره عسى ان نهتدي من جدلكما الى الحقيقة » ١

«٧» لغة الدراسة

ولغة الدراسة - في الجامعة النجفية - ، هي اللغة العربية الفصحى التي
 هي لغة القرآن . والحديث . والكتب الدراسية المتقدمة .. وأما ابناء
 الجاليات الاجنبية والبعثات العلمية الاخرى ! أمثال البعثة الايرانية والهندية
 والافغانية . والنكرية . والتبتية الى غيرها من القوميات والهويات
 الكثيرة التي تزيد على عشرين هوية اوجنسية ! .. فان كل هؤلاء يتعلمون
 اللغة العربية الفصيحة ، قبل كل شيء .. الا القليل منهم فترجم الدروس
 (١) من حديث بعنوان - يجب هدم جميع الجامعات في العالم - للمفكر
 العالمي - برناردشو - منشور في مجلة البيان النجفية - س ٦ - ١٦٤ -

لهم . وعبارات الكتب الدراسية ..

وفي هذا .. تؤدي الجامعة النجفية لابناء الضاد ولغتهم العربية أيد
بيضاء وخدمة كبرى ..

والاستاذ علي الشرقى — ابن النجف ، وخريجها — عرف هذا ..
ومع ذلك راح ينسب الروح الفارسية الى النجف في دراستها وكتبها ،
وينسب الروح العربية الى الازهر !!! في حين أن الازهر ، كالنجف في
البعثات الاجنبية من اللغات الاخرى [١]

(٨) النظام المالي

وأما النظام المالي — في جامعة النجف — فمصدره ما تسمح به رجال
الخير ، ومحبو الفضيلة ومؤدوا الحقوق الشرعية : من الخس والزكاة وغيرها
تجبي هذه الاموال من بلاد المسلمين (٢) ويؤتى بها الى المرجع الديني
في النجف ، وهو الذي يقسمها على الطلاب باعانات ورواتب شهرية كل
بحسبه ..

وكانت الميزانية السنوية للمرحوم المقدس السيد ابو الحسن الاصمبغاني
تتراوح بين الخمسمائة والستمائة ديناراً !! (٣) حتى قال المرحوم « عبدالله
بن الحسين » ملك شرق الاردن : « ان هذا يزيد على ميزانية بعض الدول
الصغيرة في العالم » .. ومن النظام المالي ، منح الخبز للطلاب ، الذي لم يكن
(١) راجع مقاله (الحركة الفكرية في النجف) في مجلة — لغة العرب —

— س ٤ ح ٦ — التي كان يصدرها البعثة الاب الكرملي في بغداد
(٢) و — ٣ — راجع كتاب — الامام ابو الحسن — طبع النجف ص ٦٠

قديمًا في النجف وإنما هو حديث لم يمر عليه أكثر من خمسين سنة ، بينما
الازهر كان فيه جناية الخبز قديمًا ، وقبل أن يوجد في النجف - وإن
قطع عن الازهر اليوم - كما جاء في كتاب (المراغي) من سلسلة (اقرء)
المصرية (١) .. ثم إن مالية الخبز ، وأكثر ما يرد على النجف من الاموال
هي من مربي ايران . والهند وغيرها ..

(١) امتحانه وشهادات

وللامتحان « في هذه الجامعة » صورة خاصة ، يخالف ما عليه مدارس
هذا العصر الحديث ، فهو يكون في الطريق وفي المجالس وفي حلقات
الدرس .. يختبر المحصل أو الناجح لدرسه بالاحتكاك والكلام .. وترتيب
أمر ذلك يظهر من تقدير الاساتذة لهم واحترام العلماء ، الذين لا يمارون
ولا يجارون . والفقير المجتهد يبرز ، بتقديم رسالته العملية التي هي
(كالأطروحة) لتحصيل الشهادة العالية في هذا العصر ، وأما الشهادات
— في هذه الجامعة — واجازات الاجتهاد التي لا تعطى الا لدوي الكفاءة
العلمية والاستعداد الكامل ، على الاستنباط ، بعد اختباره وامتحانه بالطريقة
المذكورة ، وبعد ذلك يكون لحاملها في انس واستقرار في نفسه واحترام
واكرام من عارفه !! ، وله أن يقوم بترتيب محاضرات علمية لآلئها في
الدروس العالية ، وأن يكون مبعوثاً ووكيلاً في مدن المسلمين واقطارهم
لامامة الجماعة والصلاة في الناس ووعظهم ، وارشادهم ، ويقوم بالرسالة
الاسلامية والتعليمية والاصلاحية ، التي كان يحملها الانبياء والائمة ، اوكل

مصاح كبير او طبيب نفسي جليل !!

(١٠) العطل الدراسية

واما العطل الدراسية « في هذه الجامعة » فهي عطلتان :
 عطلة سنوية وهي شهر رمضان ، وعشرة محرم ، وبعض أيام اخرى ..
 وعطلة اسبوعية ، وهي يوم الخميس والجمعة ، اما تعطيل يوم الجمعة فلا لأنه يوم
 مولد نبينا محمد « ص » وعيد المسلمين عامة — كما يتعطل اليهود يوم السبت
 والنصارى يوم الاحد — واما تعطيل يوم الخميس فلم اجده له وجهاً الا
 انه عادة جرت بين الطلاب .. ويرجع بتاريخها الى عهد « العلامة الحلي »
 الذي كان يزور الحسين (ع) في كل ليلة جمعة ، وكان يستعد ويهيئ الزاد
 والراحلة يوم الخميس . ويسير مع لمة من طلابه بموكبه العلمي من الحلة الى
 كربلاء ، ولذلك لما توفي العلامة الحلي ورآه ولده نخر المحققين في الحلم قال
 له : (لولا زيارة الحسين ، وكتاب الالفين لقصمت الفتاوى ظهر ابيك
 نصفين) . وفي رواية ان اول من عطل الخميس هو الخليفة عمر بن الخطاب (رض)
 حيث امر شيوخ الصبيان ان يتعطلوا عن القراءة يوم الخميس اول ليلة الجمعة
 ولغرض هذا المستند ولعزة الوقت ، يرى كثير من الطلاب الغاء عطلة الخميس
 وان كانت عالمية وفي دوائر الحكومة بصورة اخرى ونصف نهائية ..
 وأما العطلة الصيفية فليس لها نظام خاص في جامعة النجف ، وهذا مما يؤسف
 له ، اذ لا بد للطلاب من عطلة الصيف في كل عام ، يفرغ فيها فكره ويقوم
 بالوعظ والارشاد او غير ذلك ، وهذا ما دفع شيخنا واستاذنا الاكبر السيد
 ابو القاسم الخوئي وهو على منصة المحاضرات اصولية للبحث الخارجى

ان يقرر جعل عطلة صيفية من كل عام

(١١) مقايضة وتوجيه

لم يزل يردد كثير من الطلاب ضرورة تعديل نظام النجف — حسب حاجة العصر ومسيرة الزمان — كما تغير من ، قبل واختلاف عما كان عليه امس من الضعف والبساطة ، والقوة والذشاط اليوم ولكن النقد لا يزال عند قسم من الطلاب حملاً ثقيلاً ويرى المصلح منهم بالانتقاد ، مما كانت نيته شراً ام خيراً ، اصلاً او افساداً ، ولأن كان ما نحن فيه نقداً وكان وما نلمح اليه عيباً (فكفى بالشيء غمراً ان تعد معايبه) وكفى ان النية طيبة [والاعمال بالنيات] أو الغاية تبرر الواسطة كما يقول علماء الاخلاق وكفى ان طلاب الأزهر امس ، كانوا يشكون مما تشكوه النجف اليوم واساتذتها المفكرون !!

يقول الامام المراغي ، في مذكرات مهمة له ، عن الازهر الشريف تقتطف منها ما يلي :

(يجب ان يدرس — علم الفقه — دراسة حرة خالية من التعصب لمذهب ، وان تدرس قواعده مرتبطة باحوالها من الادلة) . (لم يزل كتبنا في الأزهر هي الكتب المعقدة التي لها طريقة خاصة لا يفهمها كل من يعرف اللغة العربية)

« لم نحاول ان نقرب للناس ولا لأنفسنا هذه الكتب ولم نحاول ان نأخذ النافع منها لنعرضه عرضاً يروج عند اهل هذا العصر » . « ولم نزل تنفق اوقاتنا الثمينة في المناقشات اللفظية ، وفي خدمه نصوص المتون .

وعبارات المؤلفين . . . » .. « ولم نزل نشغل أنفسنا . بالفروض الفقهية . كما اشتغل بها السابقون . ولم نزل نحس ثقل العلم . ولا نجد لأنفسنا إندفاعاً إلى تحصيله . ولا رغبة في المثابرة على طلبه .. » (١) .. هذا ما قاله أحد المصلحين الكبار . والأساتذة المفكرين عن الأزهر امس . ونحن نقوله عن النجف واطضاءها اليوم ..

(١٢) الكلمة الأخيرة

ونقول (ونحن على عتبة النهاية من هذا الحديث) أن المرحوم الملك فيصل بن الحسين — الذي تربطه بالنجف رابطة الرجل بآل بيته . والانتساب إليهم — هو أول من فكر بتنظيم النجف وجعلها كأزهر مصر — علي نحو ما حدث عن الملك فؤاد في مصر ، حيث رغب أن يرى علماء الأزهر كأندادهم من رجال الدين في أوربا — ولكن لم يتم لفصل ما أراد .. (٢) وبقت فكرته وفكرة أخرى معارضة لها ، تتصارعان في مجالس النجف . ومدارسها ، وحلقاتها أيضاً ، بين الأخذ والعطاء والطرح والتأييد ... ويعتمد المعارضون على كلمة ينسبون إليها المرحوم السيد أبو الحسن الأصبهاني ، وهي « كل شيء إذا انتظم اخترم وإذا اخترم انتظم » (٣) — هذه الكلمة لا ينبغي نسبتها إلى المرحوم

(١) مجلة « الرسالة » المصرية (س ١١ ع ٣٨٥) .

(٢) راجع مجلة « الغري » النحفية ، في مقال للاستاذ كبة عن النجف (س ٢٦ ع ٥٩) .

(٣) راجع (وحي الرافدين) للاستاذ الحوماني (ص ٢٢) .

الأصبعاني، لأنها تعارض نفسها بنفسها ، إذ الإخترام والانتظام جعل كل
 منها علة للأخرى ، وهو ما يسمى عند المناطقة بالدور الباطل — ولأنها
 تخالف طبيعة الإسلام القانونية ، ودستوره العالمي العظيم .. وبالجملة إن
 الشباب الروحي لا يزال يتطلع للمستقبل بعين ملؤها الأمل لكشف تلك
 السحب الكثيفة !! والمستقبل — كما قيل — كشاف ..

٨٧٨٧٨٧٨٧٨٧٨٧٨٧

٨٧٨٧٨٧٨٧٨٧

٧٨٧٨٧

الفصل الخامس

علوم الجامعة النجفية

- | | |
|------------------------|-----------------------|
| (١) مقدمة البحث | (٩) الشعر والأدب |
| (٢) مراحل ودرجات | (١٠) موضوع الاجتهاد |
| (٣) فلسفة النحو | (١١) باب مفتوح |
| (٤) علم المنطق | (١٢) إختلاف الآراء |
| (٥) الفصاحة والبلاغة | (١٣) دائرة معارف |
| (٦) الفقه والإصول | (١٤) في الزاوية |
| (٧) الدراسة الفردية | (١٥) المصدر الأول |
| (٨) الفلسفة والحكمة | (١٦) زبدة المخاض |

(١) مقدمة البحث

العلوم الإسلامية هي كل ما يتعلق بالإسلام . ويتصل به اتصالاً قريباً ، كالنحو . والمنطق . والمعاني والبيان . والفقه والأصول والفلسفة والحكمة . وغيرها . من العلوم ، التي ألف فيها . وكتب عنها آباؤنا المتقدمون في مجلدات كثيرة . . ملأوا بها دور الكتب . وخزائن المكتبات في الشرق والغرب . . وقد اعترف الغرب باعتماده عليها ، وأخذ منها ، فيما اكتشف ، واخترع . . حتى قال بعض علماء الغرب : « إن مدينة أوروبا ، وحضارتها . قامت على أربعة كتب من كتب « ابن حيان » تلميذ الإمام الصادق (ع) !! ..

هذه العلوم الإسلامية التي درسها آباؤنا القداماء . وعلماء المسلمين أمس . فنجحوا في إبلاغ رسالتهم الإسلامية وأصابوا الهدف في دعوتهم المحمدية ، وخدموا بها الإسلام ، وحفظوا أركانه . وقواعده . وأصوله . وفروعه ، وأظهروا عزه ومجده ، وبذلك حفظوا الإسلام أيضاً من الضعف والتفكك ، وتقوى المسلمون عقيدة . وإيماناً وسيطرة . ونفوذاً . وحكومة . ورجالا . وفكرة . وعلماء . . وعندما أعرض أكثر المسلمين عن دراسة تلك العلوم إلى غيرها من علوم تقليدية صرفة ليست من روحية الشرق . ولا مادية الغرب ، وقعنا في هذا الاضطراب والارتباك !! وعندما أعرضنا عن دراسة علوم آباؤنا إلى غيرها من علوم تتعلق بالجسم . أكثر منها بالروح ، وبالدنيا أشد صلة منها بالدين . ، أصبنا بهذا الداء العضال . والمرض القاتل الذي يعانيه الشرق اليوم !! ..

(٢) مراحل ودرجات

والعلوم النجفية هي من تلك العلوم الاسلامية القديمة . التي تقبل للتمطيط ، وتصلح لكل زمان ، وتسير مع كل عصر . ما دام حديث الاسلام . وفكرة الدين . وغذاء الروح . وحياة النفس حديث المثاليين وذوي الفضيلة . ودعاة السلم . ورجال الاخلاق وعلماء الدين الروحانيين . ويمكن لنا تقسيم تلك العلوم النجفية - بحسب هدف الطالب وغرضه . وطريقة دراسته . في هذه الجامعة - إلى مراحل ثلاث :

« المرحلة الاولى » : ويدرس فيها علم النحو . والمعاني والبيان وشيئاً من علمي الفقه . والاصول .

« المرحلة الثانية » : ويحضر فيها - خارجاً - علمي الفقه والاصول بالطريقة الاستدلالية . وفي أثناء هذه المرحلة يتجه الطالب إلى الدراسة الفردية . والكتابة والتأليف ، وإلى المطالعة للكتب ، ودراسة بقية العلوم . من القديمة والحديثة .

« المرحلة الثالثة » : وهي الدرجة العالية . لتحصيل رتبة الاجتهاد ونيل قوة الاستنباط للأحكام الشرعية الاسلامية ! .

ولتوضيح هذه المطالب . وما يتعلق بها أدرجنا الأبواب الآتية (عنها باختصار واجمال) .

(٣) فلسفة النحو

عند دخول الطالب الجامعة النجفية بمجد - باده ذي بده - طريقاً

معبداً وسنة متبعة في دراسة العلوم الأولية ، وكتبها الدراسية قد أسسها السلف للخلف ، فيشرع (أول ما يشرع) بدراسة علم النحو ، قيلنزم بدرس كتاب شرح الأجرومية - وأكثره في الأعراب وكتاب شرح القطر - وأغلبه في القواعد النحوية - وكتاب شرح الألفية لابن النازم ، وهو في الفلسفة النحوية غالباً .

ولعل للفلسفة النحوية - أو مزج النحو بالمنطق . وتجريده عن الأدب - الصبغة الغالبة . والأثر البين في دراسة علم النحو في الجامعة النجفية . ولعل أول من أسسه . أو توجه إليه . واعتنى به من علماء النحو « علي بن عيسى الرماني المعتزلي » ، ولهذا قال أبو علي الفارسي « إن كان النحو ما يقوله الرماني . فليس معنى منه شيء . وإن كان النحو ما نقوله . فليس معه منه شيء » . ولدراسة علم النحو - في هذه الجامعة - فوائد كثيرة فمن صون اللسان عن الخطأ فيه . وشحذ الذهن وتوسعة الفكر بالمسائل النظرية منه ، إلى تفهم لغة القرآن ومعانيه . وأسرار الحديث الشريف . وكلام العرب . ومن وراء ذلك في دراسة علم النحو عامل قوي لتخليد اللغة العربية . وبقائها علي رونقها الأصلي القديم . وسبب لانتشار لغة الضاد . وطريق لحفظها من الزيادة والنقصان . والموت والانحيار أيضاً .

وحاجة هذا العلم اليوم . كحاجته أمس ، وضرورته لهواة الأدب . بمثل ضرورته لطلاب الدين . ولولا ذلك . لما وقع كثير من الصحافيين . والكتاب الناشئين في هوة من الأغلاط اللغوية والنحوية . التي نراها اليوم في الكتب والمجلات . وهذا ما دفع اليازجي . لوضع كتاب

(اغلاط الجرائد) . والاستاذ داغر لتأليف (تذكرة الكاتب) .

(٤) علم المنطق

ويدرس الطالب « في هذه الجامعة » من علم المنطق كتاب الحاشية وشرح الشمسية ، وربما درس غير ذلك لمن أراد التوسع في هذا العلم ، الذي هو قسم من علم الفلسفة ولهذا يسمى بالفلسفة العملية . وعلم الميزان وله أسماء أخر . ومن فوائد هذا العلم . صيانة الفكر عن الخطأ فيه . والقدرة على الاستدلال . والمحاجة عند المحاوراة لظهار الحق بترتيب الأشكال . والأقيسة ، ومنها صقل الفكر . وتوسعة الذهن ، تمهيداً للمسائل الفقهية النظرية .

ولا بد لنا أن نقول كلمتنا . عن هذه الكتب المنطقية - وأكثر كتب الجامعة النجفية - وهي أنها خالية من التمرينات . والتطبيقات وضرب الأمثلة ، مضافاً إلى ردائه الطبع . وقلة الاعتناء بها ؛ بترتيبها وتنسيقها ، ليسهل تناولها . ويقرب فهم معانيها . وحينئذ ، فلا بد من تعيين لجان . لاختيار الكتب وتنسيقها ، أو تأليف كتب جديدة - تجمع بين العلوم القديمة والتفنين والتنسيق الحديث - أمثال كتاب « المنطق » لاشيخ محمد رضا المظفر . وغيره .

(٥) علم الفصاحة والبهرجة

ويدرس الطالب من علم المعاني والبيان والبديع كتاب المختصر . والمطول ، لمعرفة طرق الفصاحة . وأسرار البلاغة ليقتهي بها . ويعمل

عليها . ويتفهم أسرار تراكيب القرآن الكريم وفصاحته المعجزة .
وبلاغة الحديث الشريف . وعبارات المؤلفين - ذات التراكيب العربية
الفصيحة - وكلام العرب . لأن النبي (ص) يقول : (إذا خفي عليكم
شيء في القرآن . فارجموا به إلى كلام العرب) . ، ومن طالع كتاب
« الكشف » لازمخشري عرف أهمية هذا العلم . وضرورته لرجال الدين
وعلمائه ولكل مبشر ومبلغ . للتعبير عن المقصود . والتأثير في القلوب
بالكلام البليغ . والبيان الساحر . على نحو ما قاله النبي (ص) : « إن من
البيان ، لسحراً » !! ، والذي ينبغي أن نقوله هنا إن هذا العلم أصبحت
دراسته قليلة والاعتناء به ضعيفاً نسبة لبقية العلوم .

(٦) الفقه والأصول

يدرس الطالب من العلم الأول التبصرة . والشرائع والمعمية . ومن العلم
الثاني المعالم والكفاية والرسائل - هذا في المرحلة الأولى كسابقه - ،
وهذان العلمان أهم ما في الجامعة النجفية من العلوم . وأجلها لشدة
إرتباطها بالدين . وتعلقها بالقرآن . والسنة الشريفة ، وكل ما يدرس
- في هذه الجامعة - من بقية العلوم القديمة والحديثة ، فهو تمهيد لهذين
العلمين . وتوصل إلى نظرياتها الدقيقة . ومسائلها المشككة !! . ولا أريد
أن أبين أهمية هذين العلمين . وشدة إرتباطها بالقوانين الحديثة والحقوق
والمحاماة ، لأن ذلك بحث سيمر عليك . ولكن الذي أريد أن أقوله هنا
هو أن من راجع الوضع الدراسي أمس لهذين العلمين وكتبها ، لوجد
بوناً بعيداً بين الدراسة أمس وبينها اليوم . ، وأقول ثانياً ، ما قاله أحد

المفسرين الفقهاء في إحدى المؤتمرات الكبرى جاء فيه : « إن الفقه الاسلامي لجدير بأن يكون أهم مصدر من مصادر التشريع الحديث . وأن على أهله لواجباً أن يخلصوه مما علق به من آثار الجود . والركود وأن يقربوا للناس سبل الانتفاع به »

[٧] الدراسة الفردية

وبعد إنتهاء أكثر الطلاب من الدروس السطحية - أو دراسة العلوم المتقدمة - يلتحق بالدروس الخارجية . فيحضر دورة فقهية استدلالية مجملة ، واخرى اصولية ، وبعدها يجتهد الطالب أمامه ، طريقين مخيراً بسلوك أيهما : طريق موصل لرتبة المرجعية العليا ، ودرجه الاجتهاد السامية ومنصب الفتيا والحكم بين الناس في النجف الاشرف ، وهي المرحلة الثالثة الآتية . وطريق آخر موصل لرتبة استاذ ومدرس . في النجف الاشرف أو وكيل وإمام جماعة . وواعظ ومرشد في خارج النجف الاشرف . وهي المرحلة الثانية التي بين أيدينا . وفي هذه المرحلة يدرس الطالب - أكثر ما يدرس - على نفسه . ويتخرج عليها ، كما تخرج الرازي . وابن سينا ، إلى كثير من علماء الشرق . ممن تخرجوا على أنفسهم ، ومن علماء الغرب أمثال « برنادرشو » . (ودارون) . وكثير غيرهم ممن لم يدخلوا مدرسة ، حتى أن الفيلسوف الانكليزي « هربت » قد جاوز عمره الثمانين وهو يفتخر بأنه لم يدرس الأجرومية !! وهذا النوع من التعليم يسمى بالثقيف الذاتي ، وقد ألف بعضهم فيه

كتاباً بهذا العنوان (١) .

٨٨ . الفلاسفة والحكمة

وللطالب في هذه المرحلة أن يدرس من العلوم ما يحتاج إلى الدرس .
كعلم الحساب والهندسة والفلك والطب . على أساتذة متخصصين في النجف
الأشرف . وكان في النجف أمس مدرسة طبية . لا يزال أبنائها حتى
اليوم . . ولعل علم الفلسفة والحكمة والكلام ، أبرز هذه العلوم « في
الجامعة النجفية » وأشدّها إعتناء واهتماماً بها . في حين كنا نرى
الأزهر يمنعه . ويحجر عليه !! ، وكيف لا يمنعه . والشافعي يقول :
« إن يلقى الله العبد بكل ذنب ما خلا الشرك . خير له من أن يلقاه
بشبيء من علم الكلام » !! . ويقول الامام المراغي (٢) : منذ أربعين
سنة اشتد الجدل حول جواز تعلم الحساب والهندسة والتأريخ في
الأزهر ، وحول تعليمها لعلماء الدين ومنذ أربعين سنة . قرء لنا أحد
شيوخنا كتاب الهداية في الفلسفة . على أن نكتم الأمر لألا يتهمة الناس
بالزيف والزندقة !! (٣)

ولهذا . وذاك يرجح أن دخول الفلسفة إلى الأزهر ، كان

(١) كتاب التشقيف الذاتي أو كيف نربي أنفسنا للاستاذ سلامة موسى
(٢) المراغي الذي يقول بفتح باب الاجتهاد وبطلان القسم بالطلاق .
ووقوع الطلاق الثلاث مرة واحدة ، إلى غير ذلك مما عليه مذهب
الشيعة الجعفرية .

(٣) ص ٧٦ من كتاب (الامام المراغي) لا نور الجندي .

عن طريق النجف، منذ دخول جمال الدين الأفغاني إلى مصر سنة ١٢٨٨ هجرية، بعد تخرجه من النجف. وتلمذته على فلاسفتها، لأنه أول من بذر الفلسفة في مصر، وأخذ عنه تلميذه الامام محمد عبده، كما قال ذلك كل من كتب عن فيلسوف الشرق الأفغاني (١)

(٩) الشعر والأدب

وأما الشعر والأدب « في الجامعة النجفية » فلها اليد الطولى والامارة المطابقة فيها، منذ القدم حتى اليوم !! ولا أريد أن أطيل الحديث. عن شعر الكوفة أمس، ولكن أقول أن شعر النجف اليوم. هو الشعر المسيطر على أدب العراق وأكثر شعراء الجزيرة العربية! الذين تخرجوا من الجامعة النجفية. أو ممن تلمذوا على خريجيها، وحسبنا أن يكون منها. أمير شعراء العرب اليوم: الشاعر الجواهري. الطاهر الصيت. وأديب القصص الاستاذ الخليلي. ومعالي البحاث الشبيبي والشيخ علي الشرقي، والسيد الصافي (٢) إلى كثير غيرهم.

(١) راجع كتاب « لمحة عن الأزهر » للدكتور الوافي (ص: ٢٦)
(٢) السيد أحمد الصافي النجفي. نزيل سوريا اليوم، الذي يقول في طالب علم مهاجر. قد أدمن في طلب العلم، وهام في درسه حتى أسكره في ليلة ما فنام فوق كتابه !!:

هام في الدرس يافعاً في كتابه ونأى عن قبيله وصحابه
وانزوى ينعمش القواد بهلم مسكر للنفوس في اكوابه
سهر الليل للصباح اجتهداً ثم أعيا فنام فوق كتابه

بقول شيخنا العلامة موسى السبتي : « لأستطيع أن أؤمن أن مصر أقوى عقلية . وأوفر ذكاء من النجف وأقدر على التجوال . في الآفاق الأدبية الرحبة ، بل عكس ذلك هو الذي أصدقه وابرهن عليه ، نعم سمعت مصر بموقع جغرافي ، ادناها من أوربا . فتناولات من موائد الغرب كل شهى مستطاب . فأروح الأوربية نافذة في هيكل أدبي . ولم نجد أدباً مصرياً منزعا من نفسية وعقلية مصر . كما نجد في النجف . حتى أن تمثيلات شوقي صدى خافت لتمثيلات « شكسبير » وعوائق ذيوع الأدب النجفي سياسة لا غير (١)

(١٠) موضوع الاجتهاد

والطريق الثاني - من الطريقين ، الذين يجدهما الطالب امامه - على حسب ما تقدم - هو الطريق الموصـل لمرتبة الاجتهاد - والاختصاص بعلمه . وما يتعلق به ويتوقف عليه - الذي هو ضرورة من ضروريات الدين كما عليه مذهب الجامعة ، من وجوب تقليد المجتهد الأكبر ، ومن ضروريات المجتمع الحاضر ايضاً ، كما تنبئه لذلك أخيراً . جماعة من كبار العلماء في مصر . فدعوا له وحشوا عليه ، ولعل موضوع (الاجتهاد) هو من أهم ما يجب أن يهتم له في « هذه الجامعة » لتسهيل الطريق إليه وتقريب الوصول له بحيث يستطيع الطالب أن يحصل مرتبة الاجتهاد . في وقت قصير ، ومدة محدودة ، ويجمع بين عدة وظائف ، ويقوم بواجبات كثيرة ، ويدرس عدة علوم ، كما كان الحال في كل ذلك قبل (١) عن مجلة (العرفان) العالمية (م : ٣٣) و (ص ٥٠٢)

اليوم . ، فهذا الامام الشهيد الاول قد اجتهد ولم يبلغ العقد الثاني من عمره !! - كما تحدث عن نفسه في بعض كتبه - ومثله العلامة الحلي . وكتبها في سائر العلوم - وآرائها فيها - لا تزال القطب الأعظم ما بين الكتب العلمية في هذه الجامعة وغيرها . وفي رواية عن العلامة الحلي أنه قال : « من كان في الدرجة الاولى من الذكاء . ولم يجتهد في أربعة سنين فلا خير فيه ، ومن كان في الدرجة الثانية من الذكاء . ولم يجتهد في ثمانية سنين فلا خير فيه ، ومن كان في الدرجة الثالثة من الذكاء . ولم يجتهد في اثني عشر سنة فلا خير فيه » .

ويقول السيد ابن طاووس صاحب « الاقبال » في بعض مؤلفاته ما معناه « قرئت التهذيب - للشيخ الطوسي - فلم يشك أحد في إجهادي » وكان مع ذلك لا يفتي برأيه . لشدة احتياطه وتقديره !! .

(١١) باب مفتوح

وتمتاز الجامعة النجفية — أو المذهب الجعفري — بفتح باب الاجتهاد . ومع ذلك لا تزال مرتبته عالية لا ينالها الطالب — في هذه الجامعة — إلا بسنين طويلة يقضيها بالتعب والجهد ، على العكس مما عليه العهد السابق — كما تقدم — ولعل السبب في تأخر الاجتهاد في هذا العصر . هو توسع العلوم المتعلقة به وكثرة فروعها وملحقاتها وما يتصل بها . ، ويدل عليه المقايسة بين الكتب الدراسية — سابقاً — كازبدة ، والمعارج . في علم الاصول ، وبين الكتب الدراسية اليوم . كالكفاية . والرسائل ، التي فيها من الفروع والأقسام والتشقيقات . والتصحيحات .

والتحقيقات . مما لم تذكر في الكتب القديمة الضيقة !! ، ولعل السبب في توسع العلوم هو فتح باب الاجتهاد المطلق ، وبقاءه لهذا اليوم . ، ولهذا يحتاج إلى التوزيع على العلماء . وتخصيص كل منهم بكتاب ، أو علم من كتب الفقه الاسلامي وعلومه . ، وهذا ما يسمى باصطلاح الفقهاء « بتجزى الاجتهاد » الذي ذهب اليه جمع كثير من مجتهدي الجامعة النجفية وعلمائها .

(١٢) اختلف الاراء

وهنا سبب آخر . لتوسع العلوم وتقدم المعارف — في هذه الجامعة النجفية — وهو الحرية الكاملة للفقيه : في أن يختار ويرجح أي قول من أقوال علماء المسلمين . وإن كان شافعيًا أو حنبليًا . و ، ولاختلاف الاراء . و كثرة الأقوال . في كل مسألة فقهية . من غير تحجر أو وجود وضغط على حرية الرأي — ضمن مواد محدودة ، يعرفها الفقهاء — ، فقد تبلغ الأقوال في المسئلة الواحدة . والاراء ، عدد العشرة والعشرين ! وليس أدل على تلك الحرية « لدراسة الفقه » من الكتب العلمية والدراسية التي تتناول عرض آراء المسلمين . وردّها أو تأييدها ، ككتاب « مفتاح الكرامة » و « جواهر الكلام » ، وأوضحها كتاب « المختلف » للعلامة الحلي . الذي يذكر اقوال علماء الاسلام . ومجتهديهم . من غير فرق . بين سنيهم وشيعيهم .. ومع هذه الحرية لدراسة الفقه الاسلامي — في هذه الجامعة — فإن الأزهر . واساتذته ، يرمون النجف بالتعصب والفقه الجعفري بالجمود . . مع أنهم لا يعرفون عن

النجف شيئاً ، ولا يقرئون عن الفقه الجعفري . او يدرسونه في الازهر رغم إنشائه من الشيعة الفاطميين . والمسحة العلوية التي تبدو عليه أمس . وليس أدل على الحرية في العقائد في هذه الجامعة - مضافاً الى دراسة علم الفلسفة وتناول أقوال علماء العالم فيه - من قصة تأريخية صغيرة ، وهي أنه عندما اريد إدخال كتب دارون . وشبلي شميل . الى العراق ، في عهد السلطة العثمانية ، أرسلت إلى النجف وعلمائها . تستشيرها في ذلك ، فعقد علماء النجف مجتمعا ، قرروا فيه . وأفتوا - أخيراً - بجواز إدخالها الى العراق . على ان تنقض وترد ، وقد رد على نظرية دارون الشيخ اغا رضا الاصبهاني ، وعلى كتب شبلي . المرحوم الشيخ محمد جواد البلاغي . (١) وغيرها

(١٣) دائرة معارف

ومن توسع العلوم الاسلامية . أن أصبح الفقه الجعفري في هذا العصر . دائرة معارف وشبكة علوم مترابطة ، تضم علوماً وفنوناً متعددة تشترك جميعها بالغرض الذي لاجله ، اسس علم الفقه ، وترتبط معه ، بنحو من الارتباط ، وتتصل به من طريق أحد كتبه . ومسائله الكثيرة ،

(١) راجع كلمة الاستاذ احمد مجيد عيسى (للدراسة في النجف) المنشور في مجلة البيان النجفية (س ٢ - ع ٣٣٠) وكلمة المرحوم الشيخ محمد رضا آل كاشف الغطاء . في الحلقة الثانية من سلسلة (أشعة عن حيات الامام الصادق (ع) التي كانت تصدر عن دار النشر والتأليف في النجف . لمنشئها الشيخ عبد الرضا كاشف الغطاء .

بحيث أصبح كل كتاب منه . علماً مستقلاً عن غيره . في موضوعه
وغرضه . فعلم الاصول أو قواعد التشريع ، أصبح جزءاً لا ينفك عن
علم الفقه يسير معه . حيث سار . وعلم الرجال بحث عن رجال الروايات
وسلسلة رواة الحديث الذي هو أحد المصادر للفقيه في فتواه وحكمه .
ومثله علم التفسير لآيات الأحكام . وعلم الحساب يحتاجه الفقيه لأرتباطه
بالأثر . والقضاء . وغيرها . وعلم الهيئة والجغرافيا في القبلة وغيرها .
وعلم التاريخ بمسائل كثيرة كمعرفة الأراضي المفتوحة عنوة من غيرها .
لترتيب ما اختص بها من أحكام ، ومثله علم الملل والنحل لترتيب الأحكام
الخاصة بها . إلى غير هذه من العلوم والفنون التي يتوقف عليها علم الفقه
أو يتصل ويرتبط بها ارتباطاً قريباً . أو بعيداً ، كعلم الاقتصاد والتشريع
والهندسة والطب وغيرها من العلوم التي يزيد على الخمسين علماً !! .

(١٤) في الزاوية

ومع هذه السعة في الفقه الجعفري ، وتقدمه وتطوره وأهميته في
هذا العصر ، فإنه لا يزال في أما كن محصورة ، ولا تزال مواد
مطمورة بين كتب ومجلدات ، لم يعتني بطبعاتها ونسختها . كما يناسب
مضامينها ! . وهذا ما دفع بعض المصريين للتعبير عنها بالجواهر المكنونة !
نعم هو في زاوية لم يبرز إلى الناس لينظروه ، حتى أوهم أنه من مذاهب
الباطنية التي تحرم إظهاره وتمنع تعليمه إلا لأفراد مخصوصين ؟ أو كأنه
يخشى السياسة التي اظطهدهت أمس . وصاحبته حتى آخر طريق له ؟ ،
ولكن ليس له أن يتكلم . لأنه ليس من مذاهب الباطنية ، وليس له أن

يخشى السياسة اليوم . لأنها تقول بحرية الأديان والمذاهب . على أن السياسة والقوة معه في كثير من الأقطار والأما كن . ولهذا اندفع جماعة من كبار العلماء في الجامعة النجفية إلى القول بعدم مشروعية « التقية » في هذا العصر .

(١٥) المصدر الأول

والتأريخ للفقهاء الاسلامي ، يشهد بأن فقه الجعفرية - أو فقه أهل البيت - ، هو المصدر الأول بعد القرآن لكثير من الخلفاء الراشدين . وجميع أرباب المذاهب الإسلامية اليوم . فهذا الخليفة عمر « رض » كم مرة قال بهذا المعنى : « لولا علي لهلك عمر » (ومانن معضلة إلا ولها علي) وهذا مالك ، وأبو حنيفة ، والشافعي ، وإبن حنبل . قد تلمذوا جميعهم على آل البيت وعلى تلامذتهم ومن فقههم أخذوا ، ومن بحر علومهم ارتشفوا ولا أريد أن أطيل الحديث ، وأدلي بشهادات القرآن الكريم ، وكلمات النبي (ص) ، وأقوال علماء الشرق وفقهاء الغرب . في حق آل البيت ، بالعلم والدين والتورع بما نقلوا عن رسول الله . والأخذ بما رووا والصدق بما حدثوا (لان آل البيت أدرى بالذي فيه) .

(١٦) زبدة المخاض

وزبدة المخاض أن فقه آل البيت ، أو فقه الجعفرية الذي امتاز بفتح باب الاجتهاد ، ومسايرته للعصر ، وموافقته للذوق ، وقربه للضرورة ، وأخذه عن أصح الاصول العلمية . بحسب أدلة الاسلام ،

واعتماد أرباب المذاهب الاسلامية عليه - ولهذا . وغيره كان - هو
أحق المذاهب بالاتباع لمن يهمة تقريب المذاهب الاسلامية وتوحيدها .
وحصرها في مذهب واحد .

وكان الأمل أن أمد هذا التذييل عن الفقه الجعفري ، لولا ضيق
المجال . وخشية الملل ، ولعلي عدت إليه في حديث آخر ، وقد أفردنا
فيه كتاباً مستقلاً - لا يزال مخطوطاً - بعنوان « دراسات في الفقه
الجعفري » في بيان تأريخه ومصادر تشريعه وتطوره ومقارنته مع بقية
المذاهب الاسلامية إلى غير ذلك . كما وضعنا كتاباً آخر في الفقه
الجعفري ، مرتباً على حروف الهجاء ، بأسلوب حديث . وترتيب جميل
واستدلال مختصر ، بعنوان (قاموس الفقه الجعفري) ليعرف العالم
الاسلامي والعربي ، المدى البعيد الذي وصل اليه فقه آل البيت (ع) .
الذي عارضته السياسة الفاشية أمس ، وطارده حتى أشرف على القضاء .
لولا مشيئة الله بإحياء دينه . وإظهار الحق . وهاهو اليوم نراه في أجمل
بزة والمقدم بين مذاهب الفقه الاسلامي ، الذي دخل فيه اناس ، إدعوا الحفظ
له والعلم به طمعاً في الشهرة أو المال !! وأعانتهم السياسة الظالمة في ذلك
العصر وكان لهم ما كان ، ومن نتائجها ما نراه اليوم من التشتت والتفرق
بين المسلمين .

الفصل السادس

مراجع الجامعة النجفية

- | | |
|---------------------|--------------------|
| (١) المرجع الديني | (٤) حكومة ديفية |
| (٢) قرآن ثاني | (٥) أهمية المرجع |
| (٣) هيئة تنفيذية | (٦) شروط المرجع |
| (٧) نهاية المطاف | |

(١) المرجع الديني

شكل شيء مرجع يركن اليه ، ويسند له ، ويعتمد عليه عند الحاجة ، والضرورة . فإذا اختلف إثنان . في كلمة لغوية ، رجعا إلى كتاب في اللغة ، وذلك الكتاب يسمى بالمرجع اللغوي . وإذا تنازع تلميذان ، عن موقع مدينة من مدن العالم ، عادا إلى الخارطة ، وتلك هي المرجع الجغرافي ، وإذا اختلف عالمان في مسألة فقهية كلية . فحضا كتاب الله الكريم ، الذي هو المرجع الأكبر لعلماء المسلمين . وإذا تنازع مسلمان مقلدان ، في حكم فرعي ديني ، قصدا الجامعة النجفية . لاستفتاء المجتهد المقلد ، والفقيه العادل — أو رجعا لأحد وكلاهما ، والمبلغين عنه — وذلك هو المرجع الديني لعوام المسلمين . والجمهور الأعظم منهم ، فيما يتعلق بأمور الدين وأحكام الاسلام . يرجع العوام في ذلك إلى المجتهدين كما يرجع إلى أي ممتحن بمهنة ما . من أشغال الحياة أو متخصص بعلم من العلوم . وفن من الفنون . فيما تخصص به وامتن فيه ولا يخفى ما في ذلك من الأثر والاهمية . من حيث التنظيم من جهة . ومن حيث وحدة التوجه . من جهة أخرى ، إلى غير ذلك مما في فلسفة التقليد من الآثار الدينية . والاجتماعية والسياسية !

(٢) قراءته تعالى

فجمهور الشيعة من المسلمين . وسوادهم يرجعون إلى أو تلك المراجع المقلدين ، فيما أستشكلوا فيه . واختلفوا عليه ، كما يرجع العلماء والمجتهدون

إلى القرآن الكريم . فيما صعب عليهم وترددوا فيه . فالدين الاسلامي اليوم قائم على هاتين الدعامتين القويتين . وار كنين العظيمين !! وما دام دام الاسلام خالداً إلى يوم يبعثون . وبهذا للحاظ - وما يأتي - صبح التعبير عن الجامعة النجفية بالقرآن الثاني ، حيث أنها تضم أكثر علماء المسلمين ومراجعهم الكبار - بالنسبة إلى أي جامعة أخرى - الذين يحفظون القرآن الكريم . بقلوبهم . وأفعالهم وأقوالهم . وحيث أنها المركز الاعلى لشريعة القرآن والمقر الرئيسي لاحكامه ونظمه وقوانينه فيما يتعلق بحياتنا الاجتماعية . وما يتصل بالحياة بعد الموت ! . وحيث أنها تضم علوماً كثيرة فيها سعادة الدارين كما يضم القرآن الكريم من علوم الأولين والآخرين ! . وهذه ميزة . أختصت بها الجامعة النجفية ، دون غيرها من الجامعات الاسلامية ، حتى الأزهر في مصر ، لأن أهم العلوم الاسلامية . هو الفقه الاسلامي ، ومن الواضح أن جامعة الأزهر ليست كالنجف في إنكبابها عليه والاهتمام به ، بسبب غلق باب الاجتهاد عند الأزهر ، وفتحه في جامعة النجف (١)

(١) يعلن اليوم جماعة من كبار العلماء في الأزهر في المكتب والصحف في مصر ، فتح باب الاجتهاد . وضرورته الشديدة في هذا العصر ومن كتب عن المراغي - شيخ الأزهر سابقاً - قال : إنه أول من فتحه في مصر . ، وقبل أول من فتحه الامام محمد عبده تلميذ الفيلسوف الاكبر (جمال الدين الافغاني) الذي تخرج على مراجع النجف . ومجتهديها الكبار .

(٣) هيئة تنفيذية

إذا كان لكل قانون هيئتان : هيئة تشريعية وهيئة تنفيذية ، فالهيئة التشريعية ، هو القرآن الكريم . والهيئة التنفيذية التي تطبقه . وتوضحه وتعمل عليه ، هو النبي (ص) وأصحابه الكرام . وأهل بيته . (ع) وإذا كان هؤلاء الهيئة التنفيذية لقانون الاسلام أمس ، فيحق لوكلائهم وممثلهم السائرين على خطتهم أن يكونوا الهيئة التنفيذية لقانون الاسلام اليوم .

وهؤلاء الوكلاء اليوم . هم المراجع المجتهدون في هذه « الجامعة النجفية » الذين هم بمنزلة حكومة دينية مستقلة ، لها انظمتها . وقوانينها الخاصة ، ولها ما لكل حكومة : من السطوة . والمال والوكلاء . والعمال والموظفين المنتشرين في أنحاء العالم ، ولها من سواد الشعب وأمة عظيمة من الامم الراقية ، تبلغ المائة مليون نسمة منتشرين في جميع أنحاء العالم الاسلامي في الشرق والغرب !

(٤) حكومة دينية

هذه الحكومة الروحية « أو حكومة القرآن » هي أشبه بالخلافة الاسلامية الفائرة ، التي حفظت الاسلام الظاهري من الخلل . والتفرق أمس . وأكسبته القوة والانتشار . ولعل لهذا السبب يرجع حيوية الشيعة الامامية . وانتشارهم وكثرتهم يوماً بعد يوم ، في حين أن القوة . والسياسة الظالمة ، ضدهم في جميع الادوار السالفة والعصور

هذه الحكومة الدينية « أو حكومة محمد ص » التي كان يتقلد رأسها أمس . ولبس تاجها . وعمتها العربية ويرتدي جبتها الدينية هي اليوم بين أيدي أولئك المراجع المجتهدين ، وهم الذين يقوونها ، ويدبرونها . لانهم يعرفون من كان يجلس على ذلك الكرسي الجليل ، والمنصب الديني العظيم ! . لذلك تراهم يسلكون جميع وسائل الاحتياط وأسباب التورع ليؤدوا حق ذلك الكرسي الالهي وواجب ذلك المنصب المقدس !! .

(٥) أهمية المرجع

المرجع الديني . هو ممثل النبي (ص) . ووكيل الامام المعصوم . ووصيه . وسفيره الى المسلمين في الاجيال اللاحقة . والعصور المتأخرة عنه ! . تلك الوصاية والوكالة ، يظهرها على عليه السلام . ويذيعها على المسلمين . بقوله : « من كان منكم مطيعاً لمولاه مخالفا لهواه . فعلى العوام أن يقلدوه » . وجاء بعده الامام الصادق عليه السلام ، فأوضحها وأكدها بقوله : « إنظروا الى من كان منكم . قد روى حديثنا . ونظر في حلالنا وحرامنا . وعرف أحكامنا فارضوا به حكماً فإني قد جعلته عليكم حاكماً . فإذا حكم بحكمنا . ولم يقبل منه فإنما بحكم الله استخف وعليها رد والراد علينا راد على الله . وهو على حد الشرك بالله » ، وهذا شيء قليل من تلك الروايات الكثيرة !! التي تعلن فيها الوكالة . والوصاية . في الافتاء في أحكام الله وقانون الاسلام ، للعلماء والمجتهدين . كما دلت هذه الروايات على وجوب إتباعهم . وتقليدهم . فيما قالوا . وحكموا به ، وكما أنها

يَدِينتُ بَعْضاً مِنْ قِيُودِ الْمَرْجِعِ الْمُقْلَدِ . وَشُرُوطِ الْفَقِيهِ الدِّينِيِّ .

(٦) شُرُوطُ الْمَرْجِعِ

يَشْتَرِطُ فِي الْمَرْجِعِ، أُمُورٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا الذِّكُورَةُ ، وَالْبَصَرُ وَالْحَيَاةُ وَالْعَدَالَةُ وَالْاجْتِهَادُ . (١) وَهَاتَانِ الْمَادَتَانِ الْآخِرَتَانِ . ، هُمَا مِنْ أَهَمِّ مَا فِي قَانُونِ الْإِسْلَامِ لِلأَمْنَةِ التَّقْلِيدِ وَالْفَتْوَى . وَقَدْ يُحْسَبُ الْبَعْضُ سَهْوَةً تَنَاوَلَهَا ، وَلَكِنْ يَزُولُ ذَلِكَ الْحِسَابُ ، عِنْدَمَا يُطْلَعُ عَلَى مَا كَتَبَهُ الْفُقَهَاءُ ، وَذَكَرْتَهُ الرِّوَايَاتُ ، فِي شَرْحِ هَاتَيْنِ الْمَادَتَيْنِ ، وَالْمَقْصُودُ مِنْهَا !! يَزُولُ ذَلِكَ الْوَهْمُ ، عِنْدَمَا يَعْرِفُ حَقِيقَةَ الْجَهْدِ ، الَّذِي هُوَ قُوَّةُ الْاسْتِنْبَاطِ (٢) وَهِيَ لَا تَحْصُلُ إِلَّا بِاطْلَاعٍ وَاسِعٍ عَلَى كُتُبِ الْإِسْلَامِ ، وَعُلُومِهِ ! . وَعِنْدَمَا يَعْرِفُ حَقِيقَةَ الْعَدَالَةِ ، وَهِيَ مِلْكَةُ نَفْسِيَّةٍ ، وَقُوَّةُ إِرَادَةٍ ، تَمْنَعُ صَاحِبَهَا مِنْ تَرْكِ الْوَاجِبِ وَفِعْلِ الْمَحْرَمِ ، الَّتِي هِيَ - فِي الْحَقِيقَةِ - دَرَجَةٌ ثَانِيَةٌ مِنْ الْعَصْمَةِ !! الَّتِي يَتَصَفَّ بِهَا الْأَنْبِيَاءُ وَالْمُرْسَلُونَ ، وَالْأَمَّةُ الْمُعْصُومُونَ (ع)

(١) رَاجِعْ كِتَابَ (ذِكْرِ الشَّيْعَةِ) لَجَدُنَا الشَّهِيدِ الْأَوَّلِ مُحَمَّدِ بْنِ مَكِّيٍّ الْعَامِلِيِّ ، فَإِنَّهُ ذَكَرَ فِي مَقْدَمَتِهِ : ثَلَاثَةَ عَشَرَ شَرْطاً لِلْفَقِيهِ .

(٢) أَدَلَّةُ الْاسْتِنْبَاطِ ، وَإِصُولُ التَّشْرِيعِ ، عِنْدَ مُرَاجَعَةِ الشَّيْعَةِ ، أَرْبَعَةٌ : الْكِتَابُ ، وَالسَّنَّةُ ، وَالْإِجْمَاعُ ، وَالْعَقْلُ . وَغَيْرُ هَذِهِ مِنَ الْقَوَاعِدِ الْفَقْهِيَّةِ الَّتِي تَذَكَّرُ فِي كُتُبِ الْفَقْهِ . وَالْإِصُولُ الَّلَفْظِيَّةُ وَالْعَمَلِيَّةُ الَّتِي تَذَكَّرُ فِي كُتُبِ الْإِصُولِ ، تَرْجِعُ جَمِيعُهَا إِلَى هَذِهِ (الْأَدَلَّةِ الْأَرْبَعَةِ) حَتَّى الْإِصُولُ الْأَرْبَعَةُ الْمَعْرُوفَةُ فِي عِلْمِ الْإِصُولِ مِنَ الْبَرَاءَةِ ، وَالِاسْتِغْثَالِ ، وَالتَّخْيِيرِ وَالِاحْتِيَاظِ الَّتِي كَثِيرٌ مَا يَرْجِعُ إِلَيْهَا الْمُعْتَنِبُونَ وَالْمُجْتَهِدُونَ ، فِيمَا لَمْ يَصْرَحْ لَهُ بِحُكْمٍ فِي الْكِتَابِ وَالسَّنَةِ .

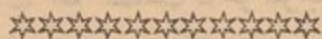
(٧) نهاية المطاف

وزبدة المخاض ، أن أوئلك المراجع ، وتلك الحكومة الروحية ،
والهيئة التنفيذية ، ووكلاء النبي (ص) ، ونواب الأمام (ع) !!! الذين
أخذوا « الجامعة النجفية » مقرأ لهم ، وعاصمة حكومتهم تحت ظل قبة
المرجع الأول . علي أمير المؤمنين (ع) . ليكون نبزاً لهم في العلم ،
والقضاء ، والسياسة ، والدين . أوئلك المراجع ، هم الذين يجب على
المسلمين إتباعهم . وتقليدهم ، في ما تخصصوا فيه . ومراجعتهم فيما استشكل
به من أمور الدين . وأحكام الاسلام . كما أمرنا الله تعالى بذلك حيث قال :
« واسئلوأهل الذكر إن كنتم لا تعلمون » . وبحكم الفطرة والطبيعة
أيضاً ، من ضرورة مراجعة الجاهل للعالم ، والمتعلم للمتخصص .
وحيث أن القرآن الكريم فيه الجمل . والمبين والناسخ والمنسوخ
والعام والخاص . لا يسهل الرجوع إليه لكل أحد ؛ كما قال تعالى :
« ولا يعرف تأويله إلا الله والراسخون في العلم » . وحيث أن شريعة
الاسلام الطبيعية السمحة ، تسير الزمان . وتصلح لكل عصر . وجب
تقليد المجتهد الحي . والفقهاء العادل - وهو ما تقول به الشيعة الجعفرية -
فالمسلمون يرجعون إلى أوئلك العلماء . كما يرجع العلماء إلى القرآن الكريم .
فالقرآن الكريم - كتاب الله الصامت - هو المرجع - الاول - للعالماء
المجتهدين . والعلماء المجتهدون - كتاب الله الناطق - هم المرجع - الثاني -
للعوام . والمقلدين من المسلمين .

« وبعد » فإن « النجف الاشرف » التي حظيت بهؤلاء « المراجع » ،
 لجديرة بأن تكون سيدة البلاد الاسلامية . ومشعلها المتوهج ! الذي
 يستنير به المسلمون : في حل مشكلاتهم النفسية . والروحية والاجتماعية
 أيضاً . وخاصة في مثل هذا اليوم الصعيب ! الذي اصبح فيه المسلمون في
 مشا كل عويصة . ومصائب كثيرة !! .

ولا يحل تلك المشاكل . ويرد تلك البلايا . الا التوجه لله تعالى .
 والرجوع الى ماضي الاسلام . وحالته الاولى : من الايمان الراسخ .
 وتعزيز الروح الاسلامية . والتمسك بالقرآن والعمل عليه ، وتوحيد
 الكلمة وجمع الشمل . ليسترجعوا بذلك . قوتهم الغابرة . وعهدهم السالف :
 الذي يسوده الهدوء والطمأنينة ، وتدعمه القوة . والسطوة ، وتجمله
 العزة والكرامة والروعة والهيبة !!

والنجف الاشرف ، ومراجعها الكبار في قدرة من أن يسدوا ذلك
 الخلل . ويتداركوا ذلك النقص ، ويستفيد منهم المسلمون في شرق
 الارض وغربها ، فيما يتعلق بالحياة والدنيا ، او الدين والحياة بعد الموت .



الفصل السابع

قدسيسة الجامعة النجفية

- | | |
|---------------------|---------------------|
| (١) كعبة ثانية | (٤) أنبياء وأئمة |
| (٢) مرقد شريف | (٥) أخبار وروايات |
| (٣) صلاة وابتهاال | (٦) خاتمة المطاف |

(١) كهبة تانية

إذا قيل عن الجامعة النجفية. أنها إحدى القبلتين. وثاني الكعبتين فليس ذلك من جهة حج المسلمين إليها ندباً. كما يحجون إلى الكعبة وجوباً، ولا من جهة وفود الطلاب لطلب العلم الواجب فيها. بمثل وفود المسلمين لاداء الطاعة الواجبة في مكة المكرمة، ولا من جهة شرف تربتها، وقداسة أرضها. كشرف وقداسة أرض مكة النقية الطاهرة !! . ليس لشيء من هذا. كانت النجف إحدى القبلتين وثاني الكعبتين، وإنما كانت كذلك. لسكل هذا وغير هذا. وكان لسكل هذا. وذلك دخل قوي. وسبب مباشر. وعامل محسوس في تكوين الجامعة النجفية. وتوجيهها ونقشها بهذا الشكل الموجود اليوم. فانك لا تجد طالباً، دخل الجامعة النجفية، وانضم لسلسلة طلابها الروحانيين، إلا وتراه. قد لاحظ في نفسه. تلك الجهات الدينية. من جملة ملاحظته. وإليها أرجع عوامل مغادرته بلاده. وأهله ووطنه. وسبب هجرته الى هذه الجامعة النجفية: جامعة القدس والدين، ومدينة العلم والفضيلة. ومهبط الأنبياء والمرسلين. ومقر الأئمة المعصومين (ع) أمس ومركز الزهاد والقديسين. وجمع العلماء الروحانيين اليوم !! .

(٢) مرقم شريف

ويتجلى جانب من قدسية النجف، وروحية جامعتها العظمى - من بعض ما يتجلى - في وجوه أوائل الزائرين. والقاصدين لمرقد

« مؤسسها الاول » علي بن ابي طالب (ع) ، وهم يطوفون حوالى قبره بالتهليل . والتكبير . والدعاء والابتهاال والخضوع والخشوع : إلى الله تعالى ؛ وعلى شفاههم حشرات تتكسر ، وآهات تتقطع ، وفي أجفانهم دموع حرى . هي دموع الخشية والاعتراف وتلك حشرات التوبة والاستغفار ، مما قضاه هذا الانسان المتعبر والمخلوق الضعيف الفاني . في مخبى . العقوق والعصيان وزاوية الخذلان والتقصير . في جانب الخالق المحسن والآله الرب المعبود !! . نعم ان مرقس مؤسس هذه الجامعة . وعظمه بأثانة ونفائسه !! وتحفه (١) ومظهر زواره ، وطلاب النجف ومجالسها الروحية وعاداتها الجميلة (٢) أيضا . كل ذلك يذكر

(١) إن التحف والنقائس الموجودة في خزانة علي عالية السلام لا توجد عند ملوك العالم . ولا تقدر بثمان ولا تقابل بمال !! ، وكان منها . ما جلبه إليها (نادر شاه) من الهند عند فتحه لها . تلك التحف العظيمة !! التي يقول عنها السيد جمال الدين الافغانى في (العروة الوثقى) إن الانكليز لا زال يذكرونها بشيء كثير من التأسف لان سبقهم إليها نادر شاه بسنين قبل استيلائهم على الهند .

(٢) لفضيلة الاخ الشيخ محمد حسين شمس الدين . وصف جميل لهذه المجالس وعرض دقيق لتلك العادات في مقال متسلسل تحت عنوان (رسائل الى أخى) أشار فيها الى نقط مهمة تتعلق فى النجف جديرة بالدرس والاهتمام ، وقد كتبها بمحضر من سماحة الامام الكبير العم الشيخ حسن شمس الدين . وسيادة العلامة المجتهد والدي الشيخ زين العابدين شمس الدين ، والمقال المتسلسل منشور في (م ٣٩ و ٤٠) من مجلة العرفان الغراء وسيطبع مستقلا بعنوان (صفحات بين العراق ولبنان) .

الانسان بعالم السماء ودنيا الآخرة . وحياة الملائكة . ويعرف الانسان ربه . وذنبه فيدخل إليه في عالم مادي . ويخرج منه في عالم آخر روحي فيه راحة الضمير . وطهارة النفس وبرودة اليقين ، ولذة الإيمان !!

(٣) صورة وابتهاال

ويتجلى جانب آخر من تلك القدسية ، عندما يتقدم أو تلك المراجع العظام . وتنظم خلفهم الصفوف والجماعات ، فتنة ترى ديباً خفياً يسري بدمك وعروقك وإحساساً لذيذاً يلج قلبك ، ويستولي على شعورك . على غير رضى واختيار !! إنه ديب الرحمة وإحساس الدين وصوت الروح وسحر الإيمان . ولذة الطاعة . وشفقة الرب الرحيم . وهداية الاله الغفور ونعمة ترى أيضاً - من معاني الحياة الجديدة - الاشتراكية المثلى . والسواسية الصحيحة . والانسانية الصادقة والمثالية الطيبة التي هي حاجة الروح المعذبة وضالة النفس المريضة . وهدف المجتمع المثالي الصحيح ! . وهذه دروس يتلقاها العابد والزائر والطالب على حد سواء ، من جملة ما يتلقاه « في هذه الجامعة المقدسة » من دروس الدين . وعلوم النفس ، التي هي الغاية القصوى . والهدف الاخير من دراسة تلك العلوم وتعلمها في هذه الجامعة العظمى . اما السبب في هذه القدسية . وتأثير تلك القوة الروحية ، فيرجع إلى ماضي مسكن النجف . وسالف تربة جامعتها المقدسة التي اشترك . في وضع أسسها الروحية . الأنبياء والمرسلون ، من قبل ، وشيد دعائمها العلمية الأئمة المعصومون وحفظ أركانها . وهيئاتها . العلماء والمجتهدون ، بين الامس واليوم .

(٤) أنبياء وأئمة

ولو نظرنا للتأريخ القديم ، الى حياة الأنبياء والمرسلين ، لو جدنا بين صفحاته حظاً وافراً . وصلة قوية الجامعة النجف بحياة أولئك الأنبياء المقربين التي تشرفت الجامعة بتلك الصلة . والقراية : بالمجاورة والسكنى . فهذا أبو البشر آدم (ع) . رمت عظامه في أرض هذه الجامعة . وهذا نوح (ع) صاحب السفينة الكبرى !! الذي قذفته المياه . من نهر الفرات على قرب من النجف . وهذا أبو الاديان إبراهيم الخليل (ع) الذي إبتاع أرضها منذ الآف السنين . ولو رجعنا للتأريخ بعد الاسلام ، في فصل حياة الأئمة من آل بيت النبي (ع) ، لو جدنا فيه . ما وجدناه قبل في حياة الانبياء والمرسلين . من العلاقة بأرض هذه الجامعة المقدسة ، و كتب السير مشحونة بهذا . وذلك (١)

(٥) أخبار وروايات

ولو نظرنا - نظرة سريعة - لكتب الاخبار النبوية ، وأحاديث آل البيت (ع) ، لو جدنا فيها مجموعة ضخمة . وعدداً غير قليل من الروايات في فضل - هذه الجامعة - التي وطأ تربتها الانبياء والمعصومون - عليهم السلام - . تلك الروايات أمثال تر جيع التختم بحصى النجف . ومضاعفة الثواب في الصلوة فيها . ، إلى تحييد مجاورتها . وسكنائها ومدحها .

(١) راجع ماضي النجف ، تأريخ الكوفة ، فرحة الغري مشهد الامام . أو (مدينة النجف) للاستاذ الكبير محمد علي التميمي .

والثناء عليها أيضاً . ومن تلك المجموعة الجليلة قول النبي (ص) (الكوفة
جمجمة العرب وروح الله وكز الايمان) ، وقول علي (ع) : « مكة
حرم الله . والمدينة حرم رسول الله . والكوفة حرمي » ، وقوله أيضاً :
« هذه مدينتنا ومحلنا ومقر شيعتنا » . ، وزاد على هذا المعنى منطق
الامام الحسن بن علي (ع) حيث قال : « لموضع الرجل في الكوفة ،
أحب إلى من دار بالمدينة » ، وقال علي (ع) : « ليأتين على الكوفة
زمان . ما من مؤمن أو مؤمنة ، الا بها أو قلبه يحن إليها » . (١)

(٦) خامسة المطاف

ولعل جميع تلك الاخبار الواردة - في هذه الجامعة - هي تنبؤ .
وتلويح وإخبار ، عن مستقبل هذه المدينة المشرفة . وتأيد ما جاء فيها .
وما قيل عنها في الكتب ، من صيورتها المقر الاعلى للحكومة الروحية
المقبلة ، ومعسكر الجيش الباسل . للأبرار طورية الدينية الآتية (٢)
وهذه الحكومة القادمة . هي التي ينتظرها العرب وأقر بها الاسلام (٣)
وأعترفت بجوهر فكرتها الاديان السماوية الكبرى ، وتنبأه قسم من
علماء الغرب ، وتسكنه بعض المستشرقين ، من ظهور قائد عربي كبير
في جزيرة العرب !! .

(١) المصادر السابقة .

(٢) راجع فصل (ملاحم آخر الزمان في الكوفة) من تأريخ

الكوفة « ص ٧٠ »

(٣) عقيدة الامام المهدي (ع) لا تخص الشيعة من المسلمين بل —

يقول الاستاذ الزيات « في افتتاحية عدد من مجلته الرسالة »
« ولهذا الرجل . ؟ الذي تنتظره الأمة العربية . آيات تمهد له وتدل عليه
فمن الآيات المهيئة لظهوره . انحلال الاخلاق فلا تنهاسك في قول ولا فعل
وتقاطع القلوب فلا تتواصل في وطن ولا دين ، واستئثار النفوس فلا
تتعفف في صداقة ولا نسب ، وجوح الشهوات فلا تتقنع بلين ولا شدة
واستبهام المذاهب فلا تستبين بنجم ولا شمس . (١) »

والذي عليه عقيدة فرقة كبرى من المسلمين - تبلغ المائة مليوناً من
النفوس !! - ، وجاءت فيه الروايات الكثيرة عن النبي (ص) ، ووردت
أخبار صحيحة عن آل بيته - كما تقدم - ، أنه الامام الثاني عشر من
أئمة آل البيت (ع) ، الذي يرأس تلك الحكومة العادلة ويقود ذلك الجيش
الباسل . الذي سيجعل النجف معسكر جنده . ومخفر قواده . ومركز
حكومته الدينية - الآتية - ، وعاصمة ابراطوريته القرآنية - المقبلة - .

فرغ منه ١٢ - ٣٧٢ في مدرسة البخاري العلمية -

النجف الاشرف - العراق - محمد رضا آل شمس الدين

— تعترف كتب السنة بها ، وتروي لها روايات كثيرة . فهذا ابن
خلدون ذكر في « المقدمة » - ٣٣ - حديثاً في الامام المهدي (ع) .
(١) راجع كلمته في مجلة « الرسالة » س ١٠ - ع ٤٦٠ - تحت
عنوان « الرجل المنتظر . . »

فهرس الكتاب

الموضوع	الصفحة	الموضوع	الصفحة
صورة لمنظر النجف العموي		إهداء الكتاب فأتمه الكتاب	
(الفصل الاول)			
(تأسيس الجامعة النجفية)			
١ مدخل البحث	٢	٢ وحدة النجف والكوفة	٣
٣ علوم وفنون	٤	٤ مدرسة علوية	٦
٥ تلامذة وموالون	٨	٦ البناية الأولى	٩
٧ النقابة النجفية	١٠	٨ شاعر قديم يقول	١١
٩ كلمات لمؤرخين	١٢	١٠ رأي في الموضوع	١٣
١١ رأيان آخران	١٤	١٢ خلاصة ما تقدم	١٦
		الفصل الثاني	
		(أدوار الجامعة النجفية)	
١ تمهيد عام	٢٠	٢ الدور الأول	٢١
٣ في الطريق	٢٢	٤ نور ضئيل	٢٢
٥ قوة وانتشار	٢٣	٦ علماء وأبطال	٢٤
٧ الدور الثاني	٢٤	٨ هيئة علمية	٢٥
٩ موت وحياة	٢٦	١٠ الى الحلة	٢٧
١١ عود ورجوع	٢٨	١٢ علماء وابطل	٢٨
١٣ الدور الثالث	٢٩	١٤ تعريف وإجمال	٣٠
١٥ اختلافات وتقلبات	٣١	١٦ علماء وابطل	٣١

الموضوع	الصفحة	الموضوع	الصفحة
١٧ الدور الرابع	٣٢	١٨ علماء كبار	٣٢
١٩ بيوت وعائلات	٣٣	٢٠ قوة وانتشار	٣٤
٢١ تأسيس مدارس	٣٤	٢٢ ثورات وحروب	٣٥
٢٣ نهاية المطاف	٣٦		

الفصل الثالث

معاهد الجامعة النجفية

١ تمهيد	٤٠	٢ إلى الاندلس	٤٠
٣ في بغداد	٤١	٤ هنا وهناك	٤٢
٥ مشيدات خالدة	٤٢	٦ جولة صغيرة	٤٣
٧ نظرة للماضي	٤٤	٨ خاتمة المطاف	٣٥

الفصل الرابع

« نظام الجامعة النجفية »

١ تمهيد	٤٨	٢ نظام الزي	٤٩
٣ كتب الدراسة	٥٠	٤ اقسام الدراسة	٥٢
٥ طريقة الدراسة	٥٣	٦ بحث وحوار	٥٣
٧ لغة الدراسة	٥٤	٨ النظام المالي	٥٥
٩ امتحان وشهادات	٥٦	١٠ العطل الدراسية	٥٧
١١ مقايسة وتوجيه	٥٨	١٢ الكلمة الأخيرة	٥٩

الفصل الخامس

« علوم الجامعة النجفية »

١ مقدمه البحث	٦٢	٢ مراحل ودرجات	٦٣
---------------	----	----------------	----

الموضوع	الصفحة	الموضوع	الصفحة
٣ فلسفة النحو	٦٣	٤ علم المنطق	٦٥
٥ الفصاحة والبلاغة	٦٥	٦ الفقه والاصول	٦٦
٧ الدراسة الفردية	٦٧	٨ الفلسفة والحكمة	٦٨
٩ الشعر والادب	٦٩	١٠ موضوع الاجتهاد	٧٠
١١ باب مفتوح	٧١	١٢ إختلاف الآراء	٧٢
١٣ دائرة معارف	٧٣	١٤ في الزاوية	٧٤
١٥ المصدر الاول	٧٥	١٦ زبدة المخاض	٧٥

الفصل السادس

« مراجع الجامعة النجفية »

١ المرجع الديني	٧٨	٢ قرآن ثاني	٧٨
٣ هيئة تنفيذية	٨٠	٤ حكومة دينية	٨٠
٥ أهمية المرجع	٨١	٦ شروط المرجع	٨٢
٧ نهاية المطاف	٨٣		

الفصل السابع

« قدسية الجامعة النجفية »

١ كعبة ثانية	٨٦	٢ مرقد شريف	٨٦
٣ صلاة وابتهاال	٨٨	٤ أنبياء وأئمة	٨٩
٥ أخبار وروايات	٨٩	٦ خاتمة المطاف	٩٠

فهرس الكتب مصادر الكتب اخطأ والصواب

مصادر الكتاب

المؤلف	الكتاب
البراقبي النجفي	تأريخ الكوفة
ابن طاووس	فرحة الغري
حسن الزيات	مجلة الرسالة المصرية
محمد علي التميمي	مشهد الامام
عباس القمي	الكنى والالقب
	تأريخ ابن الاثير
محمد باقر	« المقدمة »
أحمد عارف الزين	خصال الصدوق
	مجلة العرفان اللبنانية
	رجال المامغاني
جعفر محبوبة	ماضي النجف وحاضرها
أغا بزرگ	التريمة
ابن الفلاح	شذرات الذهب
السيوطي	بغية الوعاة
الخونساري	روضات الجنات
	رحلة ابن بطوطة
لابن الفوطي	الحوادث الجامعة
الشهرستاني	مجلة المرشد البغدادية
عباس القمي	« فارسي »
	تنمة المنتهى

المؤلف

الكتاب

علي الوافي	لمحة عن تاريخ الازهر
علي الخاقاني	مجلّة البيان النجفية
الآب الكرمل	مجلّة لغة العرب البغدادية
احد الفضلاء	الامام ابو الحسن
انور الجندي	الامام المراغي
شيخ العراقيين	مجلّة الغري النجفية
الحوماني	وحي الرافدين
جدنا الشهيد الاول	ذكرى الشيعة

الخطأ	النصواب	الصفحة	السطر
علمائنا	علمائنا	٣	٨
يا رسول الله قال	قال يا رسول الله	٤	١٥
الكيمياء	الكيمياء	٦	٣
نضرية	نظرية	١٧	٦
الزيات	زكي مبارك	١٧	١٠
الوصفي	المرصفي	١٧	١٧
تظم	تضم	٣٧	١٧
تسطعه	تستطعه	٣٨	٩
حيات	حياة	٨٣	١٩
يحضى	يحظى	٤٨	١٠
وأمة	أمة	٨٠	١١

شمس الدين، محمد رضا

حديث الجامعة النجفية

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES



01023549

شمس الدين

حديث الجامعة النجفية ، تاريخ وتحليل .

DATE

Borrower's
Number

DATE

Borrower's
Number

377.97
S524A



371.077
S528hA